العلامة الدكتور جمال حمدان
ولمحات من
مذكراته الخاصة

إعداد وتقديم

الدكتور عبد الحميد صالح حمدان



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

تعتبر هذه اللمحات للراحل العلامة الدكتور/ جمال حمدان امتدادا واستطرادا للسياحة الفكرية والعلمية التي خلفها لنا في مذكرته، والتي طاف بنا فيها بموضوعات جوهرية ومجالات رائدة تفصح عن مكنون آرائه واستنتاجاته دون تهيب أو تردد.

ويلاحظ القارئ الكريم أن هذه "المسودات" كانت عبارة عن كتابات ذاتية لمؤلفها، ولم يكن القصد منها النشر بل تسجيل ما يعن له من أفكار وآراء، وكذلك التفاعل مع الأحداث توطئة لإدراجها ضمن عمل كبير كن ينوي إخراجه عن العالم الإسلامي في الاستراتيجية العلمية. ومن ثم فقد اختلط في هذه "المسودات" الخاص بالعام والدراسات العلمية الرصينة ببعض الآراء والانفعالات الشخصية إزاء الأحداث أو التصرفات الآنية. وهو أمر عادي وطبيعي في حياة كل مفكر يعايش زمنه ويساهم بفكره وعقله في بناء المشروع القومي لبلده وأمته..

ومع هذا فيظل من الضروري الحفاظ على بعض الخصوصيات وحجبها عن

النشر مراعاة لحرمتها واحتراما لذكرى كاتبها وحقه في حرية التفكير والتعبير لاسيما وأن حجبها لا يخل بأي حال من الأحوال بسياق الكلام أو بموضوعيته ومنجيته العلمية التي اتصفت بها كتابات جمال حمدان.

وقد عمدنا إلى تقسيم الدراسات والأبحاث التي وردت في هذا الجزء إلى عدة فصول تناولت شئون مصر وكذلك الشئون العربية والإسلامية بالإضافة إلى شئون العالم الغربي وصلاته بعالمنا العربي والإسلامي.

وختمنا هذه الفصول بفصل اشتمل على بعض الخواطر والسوانح الجديرة بالتأمل والتدبر. واستكمالا للفائدة، أضفنا إليها ملحقا يضم بعض كتابات جمال حمدان حول قضايا عصره.

والله من وراء القصد

دكتور عبد الحميد صالح حمدان

الفصل الأول

عن مصر والمصريين

"مصر هي مصر"، مقولة متعددة الأوجه والدلالات، ولكنها مقولة خطرة في كل المجالات.

لاشك أن حجم مصر الفعلي الحقيقي اليوم هو ضعف حجمها منذ يونيو وكامب ديفيد، ولكن وزنها النسبي بين العرب ومع العالم أصبح نصف وزنها حينئذ.

إن كل بحث في العالم العربي وخارجه كل يوم يؤكد حقيقة محزنة واحدة وهي أن مصر لم تعد وحيدة على القمة في العالم العربي، بل أصبح لها منافسون عديدون، ومنهم أنداد أو مدعون، ولا شك أن كل العرب كبيرهم وصغيرهم يكنون احتقارا عميقا لمصر الآن وربما كرها ومقتا أيضا، بقدر ما يبدون من احترام وحب ظاهري محض تمثيلي وذلك حفظا لماء الوجه ولعدم الإحراج وعلى أساس "أكرموا عزيز قوم ذل".

مصر التي لا تتغير! مقولة صحيحة تماما – وكانت بالأصح. الآن مصر تتغير جدا – مصر المتغيرة.

كل شيء في مصر وحول مصر يتغير الآن – ولكن – وأسفاه يتغير نحو الأسوأ: في مياه النيل، في العلم العربي والشرق الأوسط، في العلم، في المعيشة،.. إلخ.

ليس دقيقا بالضبط أن مصر رأسها في أوربا وجسمها في أفريقيا.

الصحيح أن مصر رأسها في أوربا، وأقدامها في أفريقيا، وجسمها في العالم العربي.

- في الدلتا: البيض هم القاعدة، والملونون استثناء،
- في الصعيد: الملونون هم القاعدة والبيض استثناء.

درس الزلزال الأساسي هو:

لابد ولا مفر من أن نصبح "دولية عصرية" الدولة العصرية هي حتم العصر. لا مكان لبلد أو لشعب في حضارة العصر وعالمنا المعاصر وهو دولة "نصف عصرية" أو "شبه عصرية"، ودعك تماما من الدولة السلفية اللاعصرية، المتخلفة، البدائية، الدولة النامية اليوم هي التسمية المجامل للدولة المتخلفة، ولكن الحقيقة أن الدولة المتخلفة كانت التسمية المجاملة للدولة البدائية.

حسنا، ما معنى الدولة العصرية؟ بدايتها الوحيدة هي حكم الشعب المدني المثقف، حكم المثقفين باختصار، لقد زالت دولة .... كما زالت دولة الدين والشيوخ، وكلتاهما .... صميم ومرادف الدولة المتخلفة.

لأول مرة في تاريخها تواجه مصر موقفا لا يقل عن "التهديد الجغرافي" – فالانقراض الجغرافي تاريخيا، ينبغي أن نصنف ٣ مراحل جوهرية.

١ – **العصور القديمة** والحياة القديمة، طوال التاريخ حتى محمد علي، زراعة فيض وسكان متكافئة مع الأرض والموارد، بلا منافسين من الخارج إقليميا أو خارجيا.

٢ – **العصر الحديث**: من محمد علي حتى عبد الناصر والسد العالي، الري الدائم والاقتصاد الجديد .... السكان لكن مع بقاء الحالة الراهنة في سائر المجالات، توازن عالي ولكنه ليس خطرا داهما أو وشيكا.

٣ – **عصر الأخطار والخطر**: منذ عبد الناصر والسد العالي حتى الآن وإلى المستقبل غير المنظور، تحولت مصر من حرفة مستقرة ومتوازنة من الثوابت

الرواسخ إلى حرفة مضطربة غير مستقرة من المتغيرات الخطرة التي تضرب في صميم الوجود المصري ليس فقط من حيث المكانة ولكن المكان ذاته.. وأهم هذه المتغيرات:

أ - أصبحت أرض مصر معرضة للتآكل الجغرافي لأول مرة في التاريخ كله وإلى الأبد إذ تحولت من عالم متناه "بالطبع والطبيعة والجغرافيا" إلى "عالم متآكل" بفعل الإنسان، فأولا السد العالي أوقف نمو أرض مصر أفقيا ورأسي.. وعرضها للتآكل البحري والصحراوي.

ب - أصبحت أرض مصر "أرضا مغلقة" بيولوجيا بلا صرف بل مصرف. وبالتالي لا تتجدد مياهها وترتبها، كما لم تعدد وتجدد أرضها وترابها، من ثم أضحت بيئة تلوث نموذجية، وبقدر ما هي بللوزة مركزة طبيعيا، ستصبح بللوزة تلوث مكثفة حتى الموت البيولوجي.

جـ - لأول مرة ظهر لمصر منافسون ومطالبون ومدعون هيدرولوجيا. كانت مصر سيدة النيل، بل مالكة النيل الوحيدة، الآن فقط انتهى هذا إلى الأبد، وأصبحت شريكة محسودة ومحاسبة ورصيدها المائي محدود وثابت وغير قابل للزيادة، إن لم يكن للنقص، والمستقبل أسود، ولت أيام الغرق وبدأت أيام الشرق وغرقت المعاني لا لخطر راجع ولكن دائم. "الجفاف المستديم" بعد "الري المستديم"!.

د - في الوقت نفسه بلغ سكان مصر الذروة غير المتصورة قط، وهكذا بينما القاعدة الأرضية والمكانية انكماش أو .... ثبات أو انقراض، و....... الطفح السكاني إلى مداه. ولم يبق سوى المجاعة، ونفس عامل السكان الذي تعدى إمكانيات الأرض، أصبح بالوعة للأرض وآكلها لها، فهو لا يتجاوز إمكانيات الأرض فحسب، وإنما يقلصها بقدر ما يتوسع إسكانا في المدن والقرى والطرق حتى سيأتي اليوم الذي تطرد فيه الزراعة تماما من أرض مصر لتصبح كلها مكان سكن، دون مكان عمل (أي دون عمل، أي دون زراعة، أي

دون حياة، أي موت!) لتتحول في النهاية من مكان سكن على مستوى وطن إلى مقبرة بحجم دولة.

هـ - مع كل هذه الانكماشات والانزلاقات والداخلية والذاتية، أتت الكوارث الخارجية لا فرادى ولا بالمثنى ولكن بالجمع والجملة.

- إسرائيل.
- بترول العرب.
- الانقلاب الكون العالمي في الحضارة

والتكنولوجيا والهيمنة الأوربية وسقوط السوفييت.. إلخ، هذا وحده عصف بكل ما تبقى من مكانة مصر، بعد أن تآكل المكان من العوامل الداخلية "المتغيرات الداخلية – تخرب المكان "الخارجية" المكانة.

كل الخيارات أمام مصر في أي مجال ليست للأسف بين "السيئ والأسوأ" فقط، ولكن بين "الأسوأ والأكثر سوءً".

ولأول مرة تتحول من "تعبير جغرافي" إلى "تعبير تاريخي"، بمعنى أنها انتهت وأنها تمت إلى الماضي والتاريخ أكثر مما تنتمي إلى الحاضر، ودعك من المستقبل. بقاؤها واستمرارها من الآن هو مجرد عملية قصور ذاتي inertia هي مشكلة من المشاكل، ولعلها أكبر مشكلة في العالم اليوم.

هذه ليست نظرة متشائمة إطلاق إذا لا مجال البتة للتفاؤل. إنما التشاؤم هو الواقعية، والواقع هو التشاؤم.

نردد كالببغاوات ونختر كالمواشي فكرة أن الاحتكاك الحضاري بأوربا وتحضر مصر (وسائر الشرق) أدى إلى ازدواج الثقافة وإلى التعليم الثنائي المدني والديني.. إلخ. .... وانفصام شخصية.. إلخ.

هل هذا صحيح؟

كلا بالتأكيد، إنه خطأ شائع ومنطق مغلوط!

في كل الدنيا – أوربا وأمريكا أيضا – هناك الآن وحتى اليوم وكان هناك دائما تعليم ديني خاص، تخصصي جدا، لقلة محدودة جدا من المتعلمين، لتغذية الجهاز الديني (أي الكنيسة إلخ)، وهناك طبعا التعليم المدني الكاسح، ويشمل ٩٩ % من المتعلمين – لأنها علوم الدنيا أي الحياة (وإلا فالمعرفي).

وهذا ما حدث بمصر تماما. كان التعليم الوحيد هو لتعليم الديني الأزهري التقليدي. بكل بساطة، لأنه لم تكن هناك علوم علمية وضعية مدنية.. إلخ، لم يكن هناك "علم"، ولم يكن هناك "عصر العلم" كان هناك فقط، عصر الدين وعلم الدين.

ولكن الدين ليس "علما" بالمعنى المفهوم لكلمة علم. ولا التعليم الديني هو "تعليم" بمعنى تعليم عموم الشعب وملايين التلاميذ.

وإنما هو "تعليم" تخصصي خاص جدا لقلة محدودة جدا ومعدة خصيصا لوظيفة ضيقة جدا هي الجهاز الديني. وقديما حين لم يكن هناك سوى التعليم الديني والعلوم الدينية، وكنا في عصر الجهل والظلام، فلم يكن هناك تعليم .... للجميع، بل كان التعليم استثناء لقلة محدودة جدا من مجتمع ٩٩% منه في جهل. إذن حتى التعليم الديني في أيامه كان تعليم القلة المتخصصة جدا لوظيفة خاصة جدا.

ثم حين أتى عصر العلم والعلم الحقيقي الطبيعي والوضعي.. إلخ، وأصبح التعليم العام لعموم الشعب ومحو الأمية.. إلخ، كان مستحيلا أن تنصرف الأمة جمعاء إلى التعليم الديني، غير المنتج، غير المجدي حياتيا، وإلا لماتت الأمة جوا. فكان التعليم المدني منطقيا وحتميا وضرورة حياة، وطبيعة الأشياء قبل كل شيء.

وإذا كان التعليم الديني بذلك قد انزوى على الهامش، وأصبح قلة قزمية، فذلك أيضا طبيعة الأشياء.

ولكنه لا يعد ثنائية أو ازدواجية إلا على أساس نكتة الخمسين – خمسين في المائة، خمسين خيول وخمسين أرانب! وحتى لو عد ثنائية بأي معنى، فهي موجودة في جميع دول العالم إسلامية وغير إسلامية!

كفوا أيها الجهلة عن البغبغة!

بلا مدارات، المثل الأعلى لكل مصري طموح متطور هو الرجل الأوربي (+الأمريكي) (=الرجل الأبيض)، والمثل الأعلى لكل مصرية طموحة متقدمة هي المرأة الأوربية (+الأمريكية) (=المرأة البيضاء). المشكلة أن البعض ينجح في تطلعه والبعض يفشل بحكم أنثروبولوجيته! ولكن الجميع في الحالين مقلدون، هذا ينطبق على كل الأجناس والشعوب الأخرى في العالم بدرجات متفاوتة.

سيدرك كل السفهاء في النهاية أن مصر بيئة جغرافية لا تصلح بطبيعتها للرأسمالية المسعورة الجامحة الجانحة. الرأسمالية الهوجاء مقتل مصر الطبيعية.

بيئة حساسة، مرهفة، محدودة الرقعة والأساس fliewy، بل هشة أي عبث إنساني فيها يدمرها كبيئة. والأيام بيننا.

قد تتعرض مصر يوما ما بفضل تاريخها المجيد! إنها تهرب من المستقبل الأسود، بل من الحاضر البشع إلى الماضي التليد! فوافرحتاه – وواكستاه!

يبدو أن البهرة في مصر – القاهرة الفاطمية وشارع الحاكم وجامعه.. إلخ – يريدون أن يكونوا إسفينا شيعيا دائما مقيما على غرار العتبات المقدسة في النجف وكربلاء من الفرس الإيرانيين.

عمارات الأبراج الشاهقة الآن هي ناطحات سحب أو مثيلها، والكل عبارة عن "الأطراف" الرأسية للمدينة تماما كالأطراف الأفقية في الضواحي إلا أنها عموديا ورأسيا إلى أعلى.

وكلكن عليها ينطبق تماما ما يقال عن سكان الأطراف النائية من المدن. ساكنو الكفور، ساكنو القبور! الأبراج مقابر الأحياء الرأسية!

كما يقول البعض إذا كان المصريون يريدون أن يعدوا فراعنة لا عربا، فليتكلموا الهيروغليفية (!)

نقول: إذا كان الإسلاميون يرفضون الوحدة والقومية العربية والعروبة، ولا يقبلون بغير الإسلامية والوحدة الإسلامية، فإننا نقول لهم: إذا أردتم إلغاء القومية العربية، والذوبان في الوحدة الإسلامية لجميع المسلمين في العالم أي العالم الإسلامي، فلتتركوا لغاتكم القومية وتتبنوا اللغة العربية لغة وحيدة ومشتركة بين كل المسلمين، وبذلك تختفي القومية العربية والعروبة تلقائيا وتذوب في الوحدة الإسلامية الشاملة الجامعة..(!) أليس منطقيا؟

يبدو أن الصعيد محكوم عليه جغرافيا بأن يبقى إلى الأبد معقل التخلف والتعصب والرجعية في مصر وقد يصبح يوما ما مهد الفتنة الطائفية التي تنسف وحدة مصر السياحية لأول ولآخر مرة في التاريخ.

انحدار مصر: تتدحرج الآن بانتظام وبغير انتظام إلى أسفل. والانحدار نفسه يتجه الآن من سيء إلى أسوأ.

قديما كانت مصر تتذبذب يمينا وشمالا على جنبيها بين الشرق والغرب، أي بين آسيا وأوربا أو بين العرب والبحر المتوسط.

الآن أضيف بعد جديد وأدنى من التذبذب، فصارت تتذبذب بطولها ما بين الشمال والجنوب بالإضافة أي بين أوربا وأفريقيا.

والذبذبة الآن بين الشرق والجنوب في الجانب الأسوأ، وبين الغرب والشمال في الجانب الأحسن.

لأول مرة في التاريخ يتغير مكان مصر في العالم ومكانتها إلى الأسفل، فتجد نفسها لأول مرة في وضع من العالم لم يسبق من قبل. وهو أنها كيان منكمش في عالم متمدد، أنها كيان متقلص في عالم متوسع، هي تزداد كل يوم ضآلة نسبية وصغرا وضعفا، ولأول مرة تجد نفسها محوطة ومحاصرة بمنافسين

وأعداء في جميع المجالات وعلى جميع المستويات بعد أن عاشت آلاف السنين بلا شركاء أو منافسين أو أعداء حقيقيين أنداد أو ألداء.

مصر الآن تهرب دائما إلى الأمام. هذا تكتيكها بل هو استراتيجية العجز والسقوط نتيجة لها وسبب. هربت من فلسطين إلى الخليج. من تحرير فلسطين إلى أمن الخليج وحرب الخليج. مصر الآن تهرب من الخليج إلى الجمهوريات الإسلامية في وسط آسيا.

كل ذلك لتخفي عارها وعجزه. ولكن هيهات.

منطقة أسوان أصبحت "أرضا واحدة جيولوجيا" منذ بحيرة ناصر.. كل يوم ٤ – ٥ هزات متوسطة بلا انقطاع قط حتى الآن!!!

سيكون عار مصر الأكبر والأبدي إذا نجحت دولة عربية أخرى في تحرير فلسطين ونصفته إسرائيل يوما ما (جدلا). ولكنه سيكون عار العرب الأكبر والأبدي جميعا إذا نجحت دولة إسلامية غير عربية (كإيران مثلا) في تحرير فلسطين ونصفته إسرائيل يوما ما (جدلا). وفي الحالة الأخرى الأخرى فسيعني هذا خروج مصر إلى الأبد من التاريخ ودخولها مزبلته (فضلا عن الزعامة والعروبة والعبارات الرنانة إلخ إلخ!) وفي الحالة الثانية فسيعني ذلك خروج العرب إلى الأبد من التاريخ ودخولها مزبلته، مع انتقال زعامة العالم الإسلامي نهائيا كليا إلى خارج العالم العربي.

مصر سقطت في العالم العربي نهائيا فقدت الزعامة والقيادة وتحولت من قائدة العرب إلى قوادة العرب (إلى مخدع أمريكا وإسرائيل).

المهم: بداية نهاية مصر عربيا كامب ديفيد ونهاية النهاية حرب العراق.

ثم بعد ذلك طردت مصر نهائيا من الشرق الأوسط ببروز إيران وتركيا واقتحامهم للعالم العربي وانحدار مصر بالنسبة إليهما.

الآن: مصر ستتحول بقوة عن العالم العربي والشرق الأوسط لتصبح أفريقية

جدا لا لتقود أو تسيطر حيث تعد دخيلة طفيلية مرفوضة ومنبوذة بين السود، ولكن لتدافع عن مصيرها المهدد زنجيا: مياه النيل حيث تضرب الآن كمرحلة ولية مثلما ضربت وهزمت في الشمال على يد إسرائيل وبترول العرب.

إن مستقبل مصر أسود!

فقدت مصر زعامتها في العالم العربي ومكانتها القديمة. كانت مصر زعيمة العرب ماليا وأدبيا، اقتصاديا وسياسيا. ولكن بعد أن فقدت مصر هذه الزعامة، فإننا لا نجد وريثا لها بوضوح. لماذا؟ لأن وراثة مصر كانت أكبر من أي دولة عربية أخرى منافسة. والذي حدث أن قسمت وراثة مصر بين دولتين أو أكثر. فانتقلت الزعامة الاقتصادية المادية إلى الخليج (البترول)، والسياسية إلى العراق (حتى .... بفضل كارثة الخليج، فهو بلا جدال بديل مصر عبد الناصر). فكما انتقلت الأهمية من قناة السويس إلى الخليج، انتقلت الزعامة من مصر إلى القوس الشرقي .... السعيدة.

مشاريع إسرائيل والصهيونية والغرب لتفتيت مصر أو تقسيمها إلى ٣ دول أو أكثر، هذا الهراء السفيه المجنون لا ينبغي أن .... في رأس مصر! إن رؤية الوجه الآخر للقمر أسهل، فضلا عن الوصول إلى القمر.

لماذا؟ ببساطة لأن مصر أقدم وأعرق دولة في الجغرافيا السياسية للعالم، غير قابلة للقسمة على اثنين أو أكثر مهما كانت قوة الضغط والحرارة! مصر هي "قدس أقداس" السياسة العلمية والجغرافيا السياسية، ومن المتصور تماما وإن بدرجات متفاوتة أن تتكمش أو تنقسم كل دول العالم بلا استثناء إلا مصر! لماذا مرة أخرى لأن مصر السياسية هي ببساطة من خلق الجغرافيا الطبيعية – لا التاريخ ولا السياسة ولا الصدفة ولا القوة. إنها نبت طبيعي بحت.

كانت جبهة مصر الشمالية على البحر هي بدايات مصر فأصبحت الآن نهايات مصر. أيام دمياط ورشيد كانت هي بدايات أرض مصر، بدايات مصر

البرية، فأصبحت الآن نهايات أرض مصر، نهايات مصر البحرية؛ لأنها أصبحت تفضي إلى لا شيء ومغلقة dead end- lands end تماما كأسوان على القطب المضاد.

هذا بعد الانتقال إلى الإسكندرية التي أصبحت بوابة مصر فعلا، المدخل والمخرج (الوحيد تقريبا عمليا)، أما بورسعيد فليست بوابة حقيقية، ولكن محطة طريق على الهامش، أكر منها بوابة هامشية لا جانبية.

كان لمصر دائما فتحة وحدة أو اثنتان على الأكثر طوال التاريخ، ولغيرها كانت مصر تعد قمقما مغلقا أو تعيش في قمقم مغلق، كانتون مسدود من الناحيتين إلا من فتحة ضيقة كالثغرة تتنفس منها مصر "أنف مصر" ذو منخرين وأحيانا ذو منخر واحد!

الفرق بين مصر وبعض الدول المحيطة أن الأخيرة أصبح عندها "فائض قوة" يفيض خارج حدودها أطماعا وطموحات.. إلخ، بينما أصبح عند مصر "فائض أزمة" تغرق بها داخل حدودها! وتلك هي المشكلة!

حقيقة هامة.. ولكن الحقيقة الأغرب هي أن مصر والعالم العربي هي كذلك أيضا من الناحية المعيشية فهي مجمع الأجناس وتفرق السلالات! عندها تتقارب كل الأجناس الرئيسية، وتتباعد معظم السلالات الفرعية.

الارتباط هنا والتناظر ليس عشوائيا بل هو وظيفي وعضوي ومنطقي، بسبب الموقع الجغرافي الأوسط.

فقدت مصر ربع وزنها وثقله ودورها ومجدها السياحي والتاريخي سنة ١٩٤٨ بقيام إسرائيل.

وفقدت نصف وزنها بهزيمة ١٩٦٧، ثم فقدت بقية وزنها جميعا في كامب ديفيد.

مصر الآن خشبة محنطة، مومياء سياسية كمومياواتها الفرعونية القديمة، ولا عزاء للخونة!

كما كانت السويس ١٩٥٦ مقلوب كوبا، كانت حرب الخليج ١٩٩٢ مقلوب حرب السويس ١٩٥٦ للأسف. حتى موقف سكرتير الأمم المتحدة كان بالمقلوب، ودور الاتحاد السوفيتي، وأمريكا وعرب البترول.. إلخ.

ولهذا كان طبيعيا جدا: دارت القومية العربية ١٩٥٦ على ضفاف القنال، ووئدت ١٩٩٢ على شط الخليج.

عبد الناصر هو أول حاكم أو زعيم مصري يكتشف جوهر شخصية مصر السياسية ووضع يده على صيغة السياسة الخارجية لمصر كما ينبغي في التخطيط السياسي الأمثل. لم يخترعها بالطبع (لا أحد يخترعها، إلا أن تكون الجغرافيا والتاريخ) ولا كان هو أول من شخصها وتعرف عليها نظريا، فكثير من عناصره كان شائعا بين مثقفي المرحلة ونوقش مرارا في وسائل الإعلام والثقافة العامة، ولكنه كان أول من بلورها فكريا إلى حد ما ثم طبقها عمليا إلى أقصى حد، ونقلها من الفكر السياسي أو السياسية النظرية والنظرية السياسية إلى التطبيق السياسي أو السياسة التطبيقية، ومن هنا كان أول – وللأسف آخر – حاكم أو زعيم مصري "جغرافي"، أي عرف وطبق جغرافية مصر السياسية كما ينبغي أن تكون، ولا تنس أن دوائره الثلاث هي صيغة جغرافية (تصوغ) خريطة جيوبوليتيكية أصيلة. طبعا وليس معنى هذا أنه كان جغرافيا بالطبع أو الحدس، ولكنها الحاسة الجغرافية الكامنة في كل من يتصدى للعمل الوطني القومي بالضرورة.

الذي فعلته مصر مع العالم العربي والشرق الأوسط، بخروجها من الصراع ضد إسرائيل، هو تماما كالذي فعله الاتحاد السوفيتي مؤخرا مع الولايات المتحدة بخروجه من الصراع وإعلان الاستسلام والعجز والتسليم. (وكل من مصر والاتحاد السوفيتي انتحر).

الفراغ الذي تركته مصر تحاول تركيا وإيران ملأه في الشرق الأوسط. أما

الفراغ الذي تركه الاتحاد السوفيتي السابق فهو يشمل العالم أجمع.

عبد الناصر في جوهره هو محرر "مسودة" draft للمستقبل. بروفة، تجربة، بروتوتيب Blue- pint للمستقبل، مجرد بداية لا نهاية.

المسألة ببساطة هي أن الناصرية هي الانتماء العلمي لمصر فإذا روضتها روضت الانتماء لمصر أي عاديت مصر. وهذا متاح فقط لغير المصري، ولكنه من المصري خيانة سافرة للوطن. الناصرية هي الوطنية العملية السوية، هي الوطنية الحميدة في التطبيق Benign هي أصول جغرافية مصر السياسية في التطبيق العملي القديم. ولذلك لا يمكن لأي حاكم مصري إلا أن يكون جغرافي مصر السياسي التطبيقي وإن لم يدر أو يرد.

مشكل مصر لا حصر لها في الداخل والخارج ولكن مشكلة واحدة ستحدد مصير مصر في النهاية وهي نفسها التي حددت مصير عبد الناصر من قبل فكما قلنا إن عبد الناصر سيبقى أو يسقط على أساس قضية واحدة هي فلسطين/ إسرائيل، فكذلك ستبقى مصر أو تسقط إلى الأبد على نفس القضية، ما عدا ذلك، فدجل مقصود.

وقاعدة عملية ثابتة لا تتغير كل يوم أو يمكن أن تذهب كالمذهب ثم تجئ وتذهب إلخ، وأخيرا فهي قانون علمي موضوعي لا بديل له ولا تبديل يقع خارج الأشخاص والأزمان - ببساطة قانون مصر السياسي الحتمي وقانون السياسة المصرية كما ينبغي لهذا فلا ترتبط بعقد القاهرة ولا تنتهي بانتهائه، وهي فرض على كل حاكم بعده ولو كان حتى ضده. باختصار وتلخيص نهائي أن الناصرية هي المصرية كما ينبغي أن تكون، أي المصرية كما ينبغي أن تكون المصرية.

وأنت مصري إذن أنت ناصري، ولو كرهت ولو كره الكافرون، إلا إذا كنت غير مصري أو ضد - مصري!

وكلنا ناصريون حتى لو لم ندر أو لم نقبل وفعلا "كلنا جمال عبد الناصر" كما قال هو مرارا، حتى ولو انفصلنا عنه أو رفضناه كشخص أو كإنجاز، وكل حاكم بعد عبد الناصر لا يملك أن يخرج على الناصرية ولو أراد، إلا وخرج عن المصرية، أي كان خائنا، وهذا فعلا ما فعل الخائن السادات وتابعه حقه مبارك. والنتيجة أنك إذا كنت ضد ناصري (لا ضد ناصر) فكنت ضد مصر، أي خائن لمصر أي خائن وطن، أي فاشي أعظم أو أحقر.

ويمكن لكل مصري (وهذا حقه المطلق) أن يرفض عبد الناصر، ولكنه لا يستطيع أن يرفض الناصرية إلا وكان رافضا لمصريته، فأنت لا تستطيع أن تهرب من الناصرية، فهي قدر مصر رغم أنفك أو رغبتك، ببساطة لأنها بوصلة مصر وقبلة مصر.

في ظل الاستعمار البريطاني في العالم العربي ولم يكن البترول قد ظهر أيضا، كانت زعامة وقيادة العالم العربي لمصر تلقائيا ومنطقيا وبلا منازعة و منازل.

في ظل الهيمنة الأمريكية الآن، وأمركة العرب، مع طفرة البترول المجنونة، انتقلت الزعامة خارج مصر، إلى "البتروليين" الأماركة" (اللوبي العربي الأمريكي) أو على الأقل لم تعد مصر قائدة العرب لا ....

في المرحلة الانتقالية بين المرحلتين السابقتين وصل .... عبد الناصر قمة زعامته، ولكنها للأسف كانت قصيرة العمر، ولم يستطع أن يرى نذر المستقبل الأسود (أي البترول).

لم تكن الناصرية لغزا أو طلسما أو فلسفة غامضة محلقة معقدة، وإن كانت غير محددة تماما وهلامية نوعا. ولعلها شعار كبير رنان لمبدأ بسيط أولي، وهو "مصر كما ينبغي أن تكون، مصر المثالية" فالناصرية ببساطة هي "مصر العظمى" great Egypt وليس greater Egypt.

ولذا فالناصرية هي "بوصلة مصر الطبيعية"، وكل مصري طموح يريد صالح مصر قوته غريزة غنية مستقلة (بكل ما يعني ويتطلب هذا داخليا وخارجيا، بما في ذلك فلسطين/ إسرائيل، العرب، العالم، العرب..إلخ) هو ناصري قبل الناصرية وبعدها وبدونها.

لا يمكن أن يكون هناك ذرة شك في أننا حتى اليوم ما زلنا نعيش "عصر الهزيمة"، منذ ٥ يونيو نعيش في كل نتائجها وأعقابها (إلا قليلا جدا) والمنطقة كلها مهزومة راكعة مضروبة .... حتى اليوم، بل إن نتائجها السلبية تتزايد كل يوم بمعدل الربح المركب بأنها تراكمية.. ونحن ننحدر ونتدحرج كل يوم إلى أسفل سافلين أكثر من المس، وغدا أكثر من اليوم وهكذا.

لا يشك عاقل أن مصر منذ كامب ديفيد لم تعد مستقلة ذات سيادة، وإنما هي محمية أمريكية تحت الوصاية الإسرائيلية، أو العكس، محمية إسرائيلية تحت الوصاية الأمريكية.

كامب ديفيد كانت إعلانا من جانب مصر لإسرائيل أن خذي ما تقدرين عليه من فلسطين، ولنأخذ الفلسطينيون ما يقدرون عليه منها أو منك (أي ما تبقى إن وجد!)

يعني كامب ديفيد: إطلاق يد إسرائيل في فلسطين، مقابل إطلاق يد مصر في سيناء!

تماما كالوفاق الثنائي الإنجليزي الفرنسي حول مصر – مراكش!

كانت كامب ديفيد هي بداية لعبة (أو لعنة) الدومينو بين العرب، به بدأ أنصار الموقف والحق العربي، وكان إشارة البدء لسائر العرب أن ينجو كل بنفسه، ودعك من فلسطين انج سعد فقد هلك سعيد! ولا غرابة أن نجد الدول العربية جميعا القريب منها والبعيد عن إسرائيل تهرول خفية أو علنا للاعتراف والتطبيع.. إلخ.

نهاية التاريخ العربي، نهاية العرب:

كانت ٥ يونيو بداية النهاية (للعرب ولمصر)

وكانت كامب ديفيد نهاية النهاية (للعرب ولمصر)

موقف المعارضة في مصر من النظام هو كموقف النظام من إسرائيل: مهادنة وتعايش وقبول – أي استسلام وركوع وخيانة. لقد انتهت المعارضة في مصر، إما قبل قيمها وإما بعدها بقليل!

كانت فلسطين/ إسرائيل هي ببساطة كالآتي.. طلبت الصهيونية العالمية دولة لليهود في فلسطين فأسسها لهم العرب!

المعنى: قيام إسرائيل وضياع فلسطين هو مسئولية العرب والعجز العربي والخيانة العربية والجبن العربي والتفرق العربي.

الذي حدد نتيجة الصراع العربي – الإسرائيلي هو الصراع العربي – العربي.

الفلسطينيون لم يبيعوا فلسطين لليهود ولكن العرب هم الذين باعوا فلسطين والفلسطينيين لإسرائيل!

إسرائيل تدرك تماما أن الحل السلمي إذا تحقق وأسفر عن دولة فلسطينية مستقلة، فإن هذا لن يكون نهاية المطاف أو نهاية الصراع بل نهاية إسرائيل – بداية النهاية، لماذا؟ لأن هذه الدولة الفلسطينية ليست هدف.

لا معنى للعرب وللإسلام، لا معنى للعالم العربي ولا للعالم الإسلامي، بغير فلسطين.

ضياع فلسطين هو زوال للعروبة والعرب والعالم العربي والإسلام والمسلمين والعالم الإسلامي.

محور الكون والوجود والحياة أصبح فلسطين حتى تعود.

الفصل الثاني

شئون عربية

الشعوب لو تركت لشأنها لفضلت الدعة والاسترخاء والراحة والرفاهية على أي شيء آخر، الكفاح، الصرع،الحرب، الكرامة، العزة. أي لما رفضت العبودية والخضوع فقط بقوة القهر، بقوة قلة قائدة مصممة مقاتلة، تتحرك الشعوب وتتحول من قطعان إلى بشر، فالخيانة الوطنية طبيعة أصيلة في الشعوب، وهي كامنة بداخلها تحاول أن تخفيها ادعاء، لذا فالشعوب العربية كلها خائنة وهي التي سمحت وقبلت بضياع فلسطين.

وأبسط أمثلة هذا الخداع المتفوق أكذوبة الصراع الحضاري مع العدو الإسرائيلي.

ورغم أن الصراع له بعده الحضاري بالتأكيد، ولكن بمعاني عديدة جدا ومختلفة إلى جانب أبعاد أخرى أهم وأجسم وأكثر مباشرة وضرورة، فالرد هو: إذا كان بناء آلاف الأبراج السكنية الفاخرة على النيل إنجازا حضاريا، فهل يعد جزءً ووسيلة من وسائل "الصراع الحضاري" المزعوم ضد العدو، ما قيمة ألف برج أو مائة ألف برج في ساحة القتال حين ينشب إلا أن تكون هدفا سمينا دسما لقنابل وصواريخ العدو.

مقياس الأشياء جميعا في كين مصر، العرب، العالم الإسلامي، هو شيء وحيد: فلسطين.

قل لي أين فلسطين، أقل لك أين أنت!

قل لي أين فلسطين، أقل لك أين مصر!

قل لي أين فلسطين، أقل لك أين العرب!

قل لي أين فلسطين، أقل لك أين الإسلام!

كل خطوة تقارب بين مصر (والغرب) وأوربا والمغرب لابد لها من ثمن، وثمنها هو فلسطين ولا غير، أن تمر على جثة فلسطين، موقفنا منكم أيها المصريون والعرب (هكذا يقول الغرب) رهن بموقفهم من إسرائيل تقبلون بها وتقبلون أقدامها وتركعون لها، إذن نحن أصدقاؤكم، والعكس صحيح!.

المذهل أن هذا هو نفس موقفنا نحن منهم مثلي: لا يفصل بيننا سوى إسرائيل، ولن يصل بيننا إلا تخليكم عنها!

لقد نجحت الصهيونية في إنهاء وإفناء القومية العربية التي لم تكن قد بدأت بالكاد وكانت في مرحلة التكوين والنمو بالمعنى الحديث إذ يبدو أن إسرائيل لن تزول أبدا فإذا ما بقيت فهذا حتما هو زوال القومية العربية إلى الأبد، إنهما نقيضان مستحيل اجتماعهما.

موقفنا مع إسرائيل والصراع المصيري معها وضعنا في وضع كوضع الاتحاد السوفيتي السابق مع الولايات المتحدة: عداء مصيري وصراع أن تكون أو لا تكون، فكما جمد الصراع الأكبر كل التطورات والأوضاع الداخلية بها ووجهتها وجهات مدمرة أو ليست سوية أو سليمة كالتسليح والديكتاتورية العسكرية والجمود الأيديولوجي.. إلخ، جمد الصرع الأصغر الأوضاع .... الطبقية والرجعية الاقتصادية والدولية والعسكرية في الداخل، على الأقل في داخل أحد المعسكرين وهم العرب وخاصة مصر .... الصراع ضد إسرائيل .... العسكر على السلطة و............. ودمروا البلد.

أقطاب الشرق الأوسط الثلاث، مصر، إيران، تركيا، بينهم منافسات وصراعات إقليمية حتمية أرادت أم لم ترد، والمسألة مسألة توازنات جيوبوليتكية لا إرادية، وثلاثتهم غرماء ومنافسون رغما عنهم. كل ارتفاع يعني انخفاض

هناك (إسرائيل دخيل هزيل إلى زوال) ولكن هناك فروق هامة جدا بين الغرماء الثلاثة.

خرج العرب لا من التاريخ فحسب ولكن من الحياة من البيولوجيا. لقد سخط العرب إلى قردة وخنازير وديدان وحشرات.

ماتت مصر أولا

ثم ماتت فلسطين

وأخيرا العرب ككل

ماتت مصر في يونيو وتم دفنها في كامب ديفيد، وفي كامب ديفيد ماتت فلسطين، وتم دفنها في مدريد وواشنطن، وفي حرب الخليج ماتت الأمة العربية، وتم دفنها في "توابع" حرب الخليج ضد العراق.

البعض يقول: مصر "دولة مفصلية" في العالم العربي ولكن نظرية عزلة مصر تعني إنها "دولة منفصلة" عن العالم العربي.

والحقيقة أنها أصبحت "دولة مفصولة" من العالم العربي!

كل عربي أو مسلم يقبل بإسرائيل فهو خائن قوميا، وكافر دينيا.

خائن قوميا، لأنه نبذ عروبته وتحول إلى الصهيونية وكافر ديني، لأنه ارتد عن دينه إلى اليهودية.

كل عربي أو مسلم يقبل بإسرائيل فقد تهود وتصهين.

لم تكن جريمة حرب الخليج وقتل العراق هي بداية نهاية العرب، وإنما كانت المسمار الأخير في نعش العروبة، فقد بدا انهيار وانتهاء العرب منذ وقت أسبق بكثير، وذلك من ٥ يونيو، وربما قبله ١٩٤٨.

مشكلة مثلث علبة (حلايب إلخ) هي مسمار جحا السوداني، وطابا السودانية، المهم أنها أكبر سخرية من دعوة البعض في السودان إلى تهجير

وتوطين ملايين الفلاحين المصريين في السودان.. إلخ (الأغلبية الساحقة ترفض هذا بكل ضراوة ......)

مثلث علبة هو "طابا السودان"، "مسمار جحا السوداني" الذي افتعله السودان ليؤرق ويهدد مصر من حين إلى آخر، كلما أراد يخز به مصر، يلكزها بجروح. بل "قنبلة موقوتة" في جيب مصر، تهدد بالانفجار في ضلوعها في أي وقت.

صدام حسين على كف عفريت منذ حرب الخليج، معلق بين الحياة والموت. وبعد تجدد ضربه الإجرامي من أحقد وأحقر خلقة بوش، ربما أصبحت أيامه معدودة. وقد لا يعمر طويلا بعد ذهاب المجرم بوش.

المهم: حين يسقط صدام أو يقتل.. إلخ، فاعلموا أن هذه هي نهاية الأمة العربية إلى الأبد، أبد الآبدين، وليس صدام أو العراق وحده، وحينئذ لا تلوموا إلا أنفسكم!

صدم والعراق هما أول وأكبر ضحايا الغدر والخيانة السوفيتية وتحديدا الخائن جورباتشوف وإن كان العالم الثالث ضحية كله، بل العالم أجمع في الحقيقة لأنه وضعه تحت رحمة الطغيان الأمريكي المجنون.

للذين لا يفهمون سيكولوجية الشعوب أصبح للشعب العراقي، الشعب لا النظام، ثأرا قوميا مع بقية الشعوب العربية، وبعد عقد وعقدين أو عقود، سينتقم العراقيون لأنفسهم وكرامتهم، وانتظروا الانفجار. ولهم كل الحق.

المحور الأساس الغائر والدفين، قاعدة الأساس والحاكم النهائي، مقياس الأشياء جميعا، في العلاقة بين الدول والشعوب أو في الساسة الدولية هو شيء واحد لا مفر منه ولا مهرب، وكل ادعاء بغير ذلك نفاق مقصود ومرسوم تماما، وهذه هي السياسة العلمية الجديدة: إخفاء هذا العنصر الحاكم والنفاق من حوله: ألا وهو "الجنس" العنصر، العرق، الأنثروبولوجيا، اللون!

مهما غالطتم الآخرين أو خادعتم أنفسكم فالعالم مرتب، موجه، مبرمج، جنسيا وعنصريا.

نحن العرب والشرق الأوسط والبيض/ السمر أو البيض الغامق، نحن الطبقة الوسطى في العالم لا سياسيا واقتصاديا وحضاريا فقط ولكن أيضا جنسيا وعنصريا، وكلنا ندرك ذلك، ولكن لا نصارح أو نصرح به.

بدأت القومية العربية الجديدة كوحدة ثقافية روج لها الأدباء وأمثالهم في الثلاثينات وحواليها.

والآن انتهت القومية العربية كما بدأت مجرد وحدة ثقافية.

وعبر مسيرة متعثرة محزنة فشلت القومية العربية كوحدة سياسية أو اقتصادية أو حتى عسكرية.

في العصور الوسطى كان العالم العربي مستهدفا من جانب أوربا المسيحية، لم يكن العالم الإسلامي مذكورا لأن جوهره كان العالم العربي، والباقي شبه ظل، ولذا كان الصدام بين أوربا والعرب، ولكن هناك ندية كاملة، ولذا كان العالم الصراعي المعروف هو دائرة أوربا/ العرب، نواة ذات فلقتين ضخمتين متكافئتين.

الآن أصبح العالم الإسلامي كله بما فيه العالم العربي مستهدفا، أولا: لأن العالم كله أصبح صغيرا والعالم الإسلامي جزء منه. ثانيا: لأن منذ الاستعمار والسيادة الأوربية فالأمريكية أصبح العالم الإسلامي كله مجرد نوية قديمة صغيرة داخل جسم الغرب الضخم الذي لف الكرة الأرضية لفا، أصبح العالم الإسلامي مجرد إسفين ضخم في قلب العالم الكروي، أو مجرد ديناصور منقرض ملقى كجثة شبه هامدة في وسط العالم المعاصر.

كان العالم العربي في الشرق الأوسط بمثابة "مرتفع قوة" أشبه بالجبل المحدب العالي، ولكن تحول الآن إلى "منخفض قوة" تحيط به مرتفعات القوة من كل

الجهات (إيران + استراليا + الغرب) فتحول من جبل إلى أخدود (ولسه – قتل أصحاب الأخدود).

"عمارستان" هو الاسم المركب من حروف ترمز إلى كل بلد عربي، وذلك كاسم سياسي للدولة العربية الكبرى (فرضا) وكبديل عن كلمة العالم العربي، وأيضا منعا لنسبة هذا العالم إلى جزء مجرد جزء منه وهو "العرب" منعا للسيادة أو التبعية الضمنية، التي تنفر ونفرت فعلا بعض "العرب" من العروبة، إذ لا يجوز ولا يليق أن ننسب الكل إلى الجزء ولا الأكبر إلى الأصغر.

الفصل الثالث

دنيا العالم الإسلامي

هذا العالم الإسلامي "المزعوم"!

لماذا "المزعوم"؟

لأن: العالم الإسلامي حقيقة جغرافية، ولكنه خرافة سياسية!

العالم الإسلامي، كالعالم العربي، كلاهما للأسف "مجرد تعبير جغرافي".

كم عدد الحروب الأهلية والداخلية التي وقعت في العالم العربي أو الإسلامي منذ الحرب الثانية؟

كان العالم الإسلامي كله مستعمرة واحدة عظمى وإن تعدد المستعمرون، وذلك حتى الحرب الثانية.

حركة التحرير السياسي في العالم الإسلامي تمت في عدة موجات:

الأولى: بعد الحرب الثانية في الأربعينيات شملت إندونيسيا وباكستان + سوريا ولبنان.

الثانية: في الخمسينيات والستينيات – إفريقيا.

وأخيرا في التسعينيات: جمهوريات آسيا الوسطى السوفيتية سابقا + ألبانيا + البوسنة والهرسك.

وضع إريتريا كان غريبا، فهي المستعمرة داخليا في الدولة الوحيدة التي كانت مستقلة شكليا في إفريقيا.

الدين، كل دين، ككل شيء في الدنيا سلاح ذو حدين، ويمكن أن يكون خيرا أو شرا وهذه بالدقة آفة الإسلام تحديدا أكثر من أي دين آخر.

بالتخلف الحضاري والفكري تحول الإسلام كسلاح ذو حدين، من الموجب إلى السالب.

الإسلام السياسي يعيش في جنة البلهاء، فالإسلام السياسي مريض نفسيا وعقليا قبل أن يكون مريضا روحيا أو جسميا، إنه يعيش في وهم قاتل غير معقول ولا عقلاني، فالعالم الإسلامي اليوم هو يتيم العالم السياسي، وصبي الضرب للجميع، وهو في الدرك الأسفل من المجتمع السياسي العالمي، فلو كان لدى الإسلام السياسي ذرة إحساس بالواقع المتدني المهين لانتحر!

خريطة الإسلام السياسي في البلقان كما في كثير من مناطقه الأخرى معقدة جدا جغرافيا وإثنيا. الخريطة الجيوإسلامية geomoslem map

نريد أيضا أن نميز بين (أو داخل) الدراسات الإسلامية العامة (الإسلامولوجيا) وبين الدراسات الإسلامية الجغرافية. فالأولى دينية بحتة أو/ ودينية تاريخية كالتاريخ الإسلامي.

أما الدراسات الإسلامية الجغرافية أو جغرافية الإسلام فهي الجيوإسلاميات geomoslmistudy geoislamology.

الفارق بين إسلام القلب والأطراف الهامشية من العالم الإسلامي هو فارق في الدرجة لا النوع بالطبع، ولكن فارق كالذين بين التوسع الرأسي في القلب والتوسع الأفقي في الأطراف، هنا كثافة وعمق كما وكيفا، وهناك مساحة ومسطح ليس إلا.

كان العرب (غرب الجزيرة) أكبر عنصر حركي في نشر الإسلام بالتأكيد.

لابد أن يعترف كل مسلم كريم طموح منصف أن كثيرا جدا من المسلمين لا يشرفون الإسلام ولا يشرف الإسلام أن ينتموا إليه ولا يشرف بهم. بالعكس هم سبة في جبينه وعار عليه وعبء ثقيل.

أصبح المسلمون عبئا على الإسلام بعد أن كان الإسلام عونا للمسلمين.

إن الإخوة المؤمنين، الأخوة المسلمين، لا يعرفون (يكتشفون) بعضهم البعض إلا من خلال (وبفضل !) الكوارث المشتركة والنكبات التاريخية!

العالم الإسلامي ذلك المجهول! فعلا، إن نصف المسلمين لا يعرف النصف الآخر، بينما أن أغلب المسلمين لا يعرف كيف يعيش أغلبهم... قل من المسلمين من كان يعرف البوسنة والهرسك قبل كارثتها! أليس ذلك مفجعا.

العالم الإسلامي في العصور الوسطى كان هو العالم الأول. وكانت أوربا المسيحية هي العالم الثاني وآسيا جنوب شرقها هي العالم الثالث.

فعلا، أصبح المسلمون في العالم هم "المعذبون في الأرض"! (كما سوف يكونون في السماء!)

لاشك أن الدين يعد في الصراع بين العرب والمسلمين دين الصهاينة والصليبيين: هؤلاء هم الذين بدأوا الصراع والعدوان وفرضوه وفرضوا صيغته الدينية.

وعلينا علميا أن ندرك ونعترف بهذا، دون أدنى شعور بالحرج أو الخوف أو الفزع، نحن ل نستعدي المعتدين أصلا! فأنت لا تستطيع أن تستعدي معتد أصلا، لكن واجهه بصراحة وبسلاحه فلا يفل الحديد إلا الحديد, وعدم الاعتراف بالبعد الديني في الصراع هو استخذاء ومركب نقص أولا، .... ونفاق ثانيا، ولا جدوى منه عمليا في النهاية إذ لن ينجيك من هزيمة ولن يحقق لك النصر.

إذن علينا أن نحارب معركتنا بكل أسلحتنا بما فيها الديني (+ القومي + الوطني.. إلخ)

فعلا، إن جزءً من الصراع صليبي – صهيوني وإذا كانت الدول العربية تخشى من نفوذ ودور "الجماعات الإسلامية" المتطرفة والأصولية على نفسها، وكانت الشعوب الغربية المتقدمة تخشى منها كذلك، فإن من الممكن استئصال

شأفة الجماعات الإسلامية باستئصال شأفة الأنظمة الحاكمة نفسها، فتصفية الاثنين شرط حتمي لأي مواجهة مع العدو الخارجي، وليست هذه بديلا عن تلك أو العكس.

لا قيام لعالم إسلامي كقوة أو كوحدة أو ككيان محترم في العالم، ما بقيت إسرائيل في قلبه وعلى قلبه.

الجماعات الإسلامية المتطرفة هي "مطاريد" المجتمع الإسلامي تماما كما أن "المطاريد" هم مطردي المجتمع المدني.

العلمانية ليست نقيض الدين، ولكنها نقيض الدروشة، إنها ترشيد التدين، وسطية التدين بين الدين والدنيا، العلمانية هي العربية لا دروشة وبلا دموع، والتدين بلا هستيريا وبلا تطرف.

العمل فوق العبادة، والعلم فوق الدين أصول إسلامية مقررة.

الفتنة الطائفية والتطرف الإسلامي في مصر كلاهما نتيجة مباشرة للاعتراف بإسرائيل ثم نتيجة غير مباشرة لكل تداعيات هذا الاعتراف.

هذا الاعتراف هو نوع مستتر من الانتحار الوطني، فضلا عن كونه اندحارا قوميا وسياسيا، ماديا ومعنويا إنه نهاية كل شيء، نهاية التاريخ!.

أمراء الجماعات الإسلامية المزعومون هم "أمراء الإرهاب" على وزن أمراء الإقطاع قديما!

والحقيقة أن الجماعات الإسلامية المزعومة إن هي إلا "عصابات" دينية منحرفة غير شرعية وغير قانونية، خارجة على الدين كما هي على القانون.

الإسلام يهدد الغرب!؟ أسخف نكتة مفبركة، ليته يهدد! يا ريت، ليت هذا .... ما تعد!

هناك نقطة مجهولة وفيها مغالطة:

الخلفاء الراشدون يمكن اعتبارهم النموذج المثالي والكامل "للاشتراكية"

ثانيا: "الدولة الدينية" التي يدعو إليها البعض هل كانت الدولة الإسلامية في العصور الوسطى وحتى العثمانيين والقرن ١٩، هل كانت إلا "دولة دينية"، "ودولة إسلامية"؟!

لا مصر ولا العرب ولا العالم الإسلامي سيتقدم إلى الصدارة أو إلى الأمام حتى يتم شنق آخر الجماعات الإسلامية بأمعاء آخر إسرائيلي في فلسطين..

"الجماعات" الإسلامية × "المجتمع" الإسلامي.

الأحزاب الدينية هي عصابات طائفية. والعصابات الطائفية هي مافيا الدين، إذن "فالجماعات الإسلامية" هي "مافيا الإسلام" "إنما المؤمنون إخوة" لا عصابة.

"أعلم أهل زمانه" تعبير شائع جدا في الكتابات الإسلامية والعربية في العصور الوسطى.

هذا التعبير لا يمكن أن يطلق اليوم على "أعلم العلماء" وإلا كان إهانة أو خطأ، فنحن في عصر العلم، أي علم التخصيص، وأقصى ما يمكن ن يقال اليوم "أعلم أهل تخصصه".

أنت مسلم إذن أنت مسئول عن استرداد فلسطين، أنت غير مسئول عن استرداد فلسطين، إذن أنت غير مسلم!

الجماعات الإسلامية اليوم كله هي "دراويش القرن ٢٠"، النسخة المعاصرة من دراويش الماضي، وبهذا فهم جميعا "مرضى دينيون" مرضى بالدين، والدين مريض بهم، سبة في حق الإسلام، ومن حق الإسلام سبهم، وصمة في جبين الإسلام، و"المرض الديني" ليس نفسيا فقط ولكن عقلي أيضا، إنها مرض روحي، ..... الروح.

يتناسب التدين تناسبا طرديا مع التخلف وتناسبا عكسي مع التقدم، تمما كما يتناسب التخلف الحضاري تناسبا طرديا مع التخلف العقلي والتقدم الحضاري مع التقدم العقلي.

المهزلة غير الملاحظة هي أن الصراع الغربي – الشيوعي السوفيتي السابق كان يحمي العالم الإسلامي من عداء وحقد الغرب الرأسمالي المسيحي، والآن زال الحاجز، فانكشف الحادث!

الجماعات الأصولية الإسلامية ليست صراعا دينيا، ولكنها صراع طبقي يتمسح في قمة الدين.. هم صعاليك المسلمين (ولا نقول صعاليك الإسلام)، وإن تحولوا فعلا من صعاليك المسلمين إلى صعاليك الإسلام بأفعالهم وموقفهم) هم فاشلو المجتمع الإسلامي المعاصر.. وبالتالي فهم حاقدون على الناجحين والمتقدمين من المجتمع الإسلامي، إنه حقد طبقي وصراع طبقي، بزعم الدين والصراع الديني.

هم "مرضى الإسلام" و"....... الإسلام" Patho Islam

الدولة الدينية أو .... أو حكم الدين ورجال الدين هو: الجهل الحاكم، والأدنى يقود، وهذا ضمان بالكارثة.

ثنائية العلمانية/ الدينية ثنائية زائفة كاذبة مكذوبة.

كل الأديان علمانية أي دنيوية، ونلاحظ الإسلام، فالإسلام دين ودنيا، والدين في خدمة الدنيا، لا الدنيا في خدمة الدين، إذ لا دين بلا دنيا (إذا أريد القول بأنه لا دنيا بلا دين).

معنى هدف الإسلاميين الإرهابيين هو حكم الجهل للعلم، والرعاع للصفوة، الصراع كله هو من يحكم من: الجهل أو العلم، التخلف أم التقدم، الماضي أم المستقبل.

منطق الإرهابيين الإسلاميين بسيط جدا وواضح تماما، هم يقولون لأنفسهم: نحن قاع المجتمع وحثالة الشعب، ليس لدينا ما نخسره سوى حقارتنا وتفاهتنا ودونيتنا فإما "فيها لأخفيها"، إما أن يضعني المجتمع في مكان مقبول، وإلا

فلأذهب معه إلى الجحيم! ولكن كيف أغطي قضيتي (الزائفة) بغلاف مقبول، الدين وحده هو أرخص وأسهل وأفعل غطاء!

من هنا تحول الحقد إلى التدين، والتدين الحاقد إلى الإرهاب الديني.

لم يبق إلا أن يسأل الإسلاميون هذا السؤال: هل الحضارة حلال أم حرام؟ (!) لم يدعوا شيئا - هؤلاء الحشرات - في الحياة إلا قالوا حرام أو حلال؟ أو بالأصح إلا وقالوا: حرام!

لماذا لا يفضونها سيرة ويتساءلون ثم يجيبون: هل الحياة حلال أم حرام؟

كما كان الإسلام أسرع الأديان انتشارا جغرافيا، كان أسرعها إلى التوقف عن الانتشار تاريخيا، ففي غضون قرن واحد تقريبا، حقق الإسلام الحد الأقصى من انتشاره ورقعته الجغرافية، ولكنه توقف بعد ذلك، وهؤلاء في حالة تراوح بين الثبات والحركة ولتمدد والتقلص..

المضحك أنه في الوقت الذي كف فيه الإسلام عن التوسع الجغرافي، بل بد يفقد أرضا بالفعل على الأطرف (بالتبشير المليوني والتحول المليوني)، .... المتأسلمون (صعاليك الإسلام وسقط متع العلم الإسلامي) بالصحوة الإسلامية المزعومة. وما هي بصحوة ولا هي إسلامية.

الإسلام السياسي والجماعات الإسلامية والإرهاب الديني في مصر هي رد فعل لكامب ديفيد لا لـــ ٥ يونيو.

وأي دعاء عكس هذا تزييف وإجرام.

الإسلام السياسي والجماعات الإسلامية هي رد فعل مريض وخاطئ لخطيئة أشد مرضا هي كامب ديفيد والصلح والركوع لإسرائيل.

إنها جزء من الصراع الديني بين الإسلام والصهيونية.

الحضارة الإسلامية المتطرفة هي وباء دوري يصيب العالم الإسلامي في

فترات الضعف السياسي أمام العدو الخارجي (الاستعمار.. إلخ.. هي تشنج طبيعي بسبب عجز الجسم عن المقاومة.. ثم الآن تحولت إلى وباء شامل pwadewic endemic.

أصبحت كلمة الجماعات الإسلامية ذات مفهوم متعارف عليه، وهو الجماعات التي بدت كأنها أصحاب الإسلام الصحيح دون سائر المسلمين، فأصبحنا نميز بين المسلمين والإسلاميين – رغم أننا نرفض المضمون والمبدأ والهدف.

تماما كما فعلنا مع صحف المعارضة والصحف "القومية" في حين نها لا قومية ولكنها حكومية وحزبية، والحالتان من باب "خط مشهور..إلخ"

بيد أنه بات من الضروري أن نتوقف عند هذه العبارات ونوقفها.

البعض يرفض أن يبتلع طعم عبارة "الجماعات الإسلامية" حتى مع إدانتها الكاملة، فيقول: "الجماعات الإسلاموية (الشيخ خليل عبد الكريم)، والبعض يقول الجماعات المتأسلمة (د. رفعت السعيد) أي التي تتخفى وراء الإسلام.

وأنا أقترح "المسالمة" (بصرف النظر عن المدلول أو الأصل السوداني الخاص).

الوقع أنه أصبح هناك مدرستان في علاقة الإسلام بالحضارة (= الحياة)، ولا نقول أصبح هناك ديانتان أو إسلامان.

الأولى: الإسلام هو الحضارة والحضارة هي الإسلام = الإسلام دين الحضارة، دين حضاري، دين متحضر.

الثانية: الإسلام ضد الحضارة، والحضارة نفي للإسلام وضد الإسلام، والإسلام دين غير حضاري ولكنه دين أخروي، والإسلام ليس دين الحضارة لأنه ليس دين الدنيا بل دين الآخرة.

الجماعات الإسلامية هم "فاشلو المجتمع الإسلامي" هم اشد المتخلفين حضاريا في مجتمع متخلف بعامة.

لا يفل التعصب إلا التعصب، والإرهاب إلا الإرهاب. هذا صميم الموقف كله.

الأصولية الإسلامية والصحوة الإسلامية والإسلام السياسي والتطرف الإسلامي.. إلخ كل هذا رد فعل (مريض) للقهر الاستعماري والاستعلاء والكبر والغطرسة الأوربية والأمريكية، تماما كما حدث في القرن ١٩.

تعصب بتعصب، ورد فعل مريض على فعل هو أمرض والبادي أظلم!

أراهن على الآتي:

ما يسمى "الجماعات الإسلامية" بتطرفها وإرهابها إلخ، هم فعلا قاع المجتمع المدني وفاشلو المجتمع الإسلامي، وهم لا يخفون أطماعهم: الحكم باسم الإسلام، الدين مطية للسلطة، حسنا هل هم جادون؟ ....

الحقيقة أنهم مرضى نفسيا – اجتماعيا، هم حثالة المجتمع، ولا يريدون في صميم قرارهم أكثر من شيء من الاعتراف .... من قبل المجتمع (الذي لا يخفي عيوبه وموبقاته و......... مع ذلك). إنهم إنما يريدون نصيبهم من كعكة الفساد على وجه التحديد .... والغرابة أنهم لا يريدون لا الإسلام ولا الحكم (إنهم أعقل بكثير من الثانية وأخبث بكثير من الأولى.

لهذا أراهن: أنهم لو .... في المجتمع .... وتعاطف سيتخرج منهم أعظم وأنجح الفاسقين والمفسدين وأعداء الدين والأيام بيننا!

(خصوصا مع تقدمهم في السن نحو منتصف العمر وبعده].

المفروض أن الشورى أكبر من الديموقراطية، أي الشورى = الديمقراطية + س.

وأن الديمقراطية = الشورى – س

كان الصراع الثنائي بين الشرق والغرب إلى أن انتهت الحرب الباردة، الآن نقل الصراع أصبح بين الشمال والجنوب.

حسنا، الأصح أن يقال: بين الشمال والعالم الإسلامي.

فالعالم الإسلامي هو القطاع السياسي الحقيقي والفعلي والمتحضر من العالم الثالث والجنوب. فالعالم الإسلامي من الجنوب وليس فيه، بل ليس في الجنوب تماما بالمعنى الجغرافي، وإنما هو الوسط، إنه أوسط، إنه العالم الأوسط جغرافيا وحضاريا وثقافيا و............ وبشريا، إلى آخره.

لذا فإن الصراع الحقيقي انتقل اليوم إلى معادلة جديدة: معادلة الصرع: الشمال ضد الوسط (لا الشمال ضد الجنوب).

إذا كان الإسلام اليوم ضعيفا مغلوبا على أمره، والسيادة والسيطرة لأوربا والغرب المسيحي خارج كل حدود، فإن هذا الوضع ليس قديما أو أصيلا بل حدث طارئ منذ العصور الحديثة تماما كما هي قصة التوازن وصراع القوة بين أوربا وآسيا.

فقديما في العصور الوسطى وما قبلها كانت أوربا تقع تحت مطرقة آسيا والآسيويين وغاراتهم واحتلالهم قرونا، وكانت الغلبة دائما للرعاة الآسيويين.. إلخ ثم انقلب الميزان رأسا على عقب منذ البارود في العصور الحديثة، وأصبح العالم الآسيوي مستعمرة لأوربا تقريبا.

نفس الشيء العالم الإسلامي (مع ملاحظة التداخل الجزئي جغرافيا بين العالم الإسلامي والعالم الأوراسي)، ففي العصور الوسطى كان العالم الإسلامي سيد أوربا وغازيها، بعد العصور الحديثة انقلب الميزان.

المهم في النقطة هو ذلك التشابه التاريخي في تطور علاقة القوة بين كل من العالم الإسلامي والعالم الآسيوي وبين أوربا المسيحية والغرب الأوربي.

بدون لف: الإسلام هو العلمانية! (لا إسلام بلا علمانية! وإن كان هناك علمانية بلا إسلام.

العلمانية لها أكبر مكان في الإسلام بالذات!

إذا كان آفة الدين رجاله، فإن الحل هو رجل الدين "المثقف"، المطلوب طبعة عصرية مثقفة من رجل الدين، هي "رجل الدين المثقف" أي المثقف ثقافة مدنية، وضعية، علمية، علمانية! رجل الدين العلماني، عالم الدين العلماني!

نعرف العلمانية جيدا، ولكن ما هو المقابل لها؟ الإسلامية؟ إذن معنى ذلك أن العلمانية غير إسلامية أي كافرة، فهل هذ هو المقصود؟ ....!

إنما العلمانية نصف الدين!

هل الإسلامية "دين داخل الدين"؟

أم ببساطة – ويا للهول و......... – "دين فوق الدين"؟

أسوأ دعاية وأكبر إساءة للإسلام هي الإسلام السياسي بالمعنى الأصولي.

الإسلام السياسي إذن نوعان، كما يمكن تصنيفه:

١ – الإسلام السياسي الحميد = تحرير فلسطين أساسا + تنمية وتطوير العالم الإسلامي.

٢ – الإسلام السياسي الخبيث = الثيوقراطية والدولة الدينية.

ثمة قدر متيقن من التداخل بين الإسلام والمسلمين – طبيعي، ولكن لا ترادف بينهما – طبعا، هذه المعادلة أساسية لا المتناقضة هي سطحية، وهذا مفتاح الموقف جميعا.

فمن ناحية لا انفصال للإسلام عن المسلمين، إذ لا إسلام بلا مسلمين (كما أنه لا اشتراكية بلا اشتراكيين) فالمسلمون هم تجسيد .... المحسوس للإسلام. الإسلام هو الروح، والمسلمون الجسد. الإسلام يتجسد في جسم المسلمين .... والمسلمون هم الجسم الذي يحتوي الروح ويحميها، وهم التجسيم المادي المرئي الملموس للعقيدة والدين كفكرة وأيديولوجية. [لا إسلام بلا مسلمين، ولكن قد يكون هناك "مسلمون بلا إسلام"!]

أما المرادفة بين الإسلام والمسلمين كما يفعل معظم المستشرقون والغرب، فهذا فقط من قبيل المجاز، والاختصار، التجوز واليسر، ولكن يمكن أحيانا أن يكون إيجازا مخلا ومجازا مغرضا مخزيا فحذار!

إذا كان العالم الثالث نحو ٣٠٠٠ مليون نسمة، والعالم الإسلامي ١٠٠٠ مليون، فإن الآخر يكون ثلث الأول (وخمس البشرية) ما مساحة العالم الإسلامي من العالم الثالث ومن العالم أجمع؟ إن يكن العالم الإسلامي ربع (؟) العالم الثالث مساحة، وثلثه سكانا، فإنه نصفه على الأقل حضارة وتقدما وقوة – النصف الحلو!

من أسوأ المسيئين إلى الإسلام بعض من أشد المدافعين عنه من أبنائه للأسف.

والأصولية الإسلامية المزعومة هي بالدقة والضبط "اللاأصولية الإسلامية".

الجماعات الإسلامية هي "بروليتارية الإسلام الرثة" أي حثالة المسلمين، تريد الآن أن تقلب المجتمع باسم الإسلام لتحكمه مثلما فعلت بروليترية العمال في الأيديولوجيا الشيوعية.

الجماعات الإسلامية هي "شيوعية الإسلام" ولكن بلا شيوعية وبلا إسلام. ولكن سفه طبقي باسم الإسلام.

مشكلة الإسلام والمسلمين أنهم يواجهون العالم الخارجي من مركب نقص حضاري، وطني، قومي، ومادي.. إلخ، ولكن مع مركب عظمة ديني. من حق أي مسلم أنه يقدر دينه كما يرى، ولكن – ولكل نقد نقد – من حق كل غير مسلم أن يفعل الشيء نفسه وربما أكثر منه وكذلك عكسه. فمهما كان رأي المسلم في دينه وقيمته النسبية بين الأديان، فإن غير المسلم لا يرى إلا أن هذا رأي أجوف ادعائي، لأنه يقوم على أساس مادي ضعيف ومتخلف للغاية.. إلخ. والمعنى أن على المسلم، على المسلمين أن يتكلموا عن دينهم بالحد الأدنى، وتعملوا من أجله بالحد الأقصى، فليس المهم في التاريخ الأسماء ولكن الأفعال (.........).

والتعارض بين مركب النقص الحضاري المادي ومركب العظمة الديني (وهو استفزازي بالضرورة) هو متناقضة تمثل جوهر مشكلة الإسلام في عالم اليوم المادي العلماني العلمي التكنولوجي.. إلخ.

الدين كل دين ككل شيء في الدنيا سلاح ذو حدين، ويمكن أن يكون خيرا أو شرا، وهذه بالدقة آفة الإسلام تحديدا، أكثر من أي دين آخر.

بالتخلف الحضاري والفكري تحول الإسلام كسلاح ذو حدين، من الموجب إلى السالب.

الظاهرة الحقيقية جدا والمحيرة للغاية هي الانقلاب الذي طرأ على وضع الإسلام ودرجة تقبله أو رفضه في إفريقيا الجديدة بعد التحرر.

قديما كان التحول إلى الإسلام يتم بسهولة وسلام وبإقبال شخصي شديد من أصحابه، الذين كانوا يرون في الإسلام وسيلة للتحرر والحرية والكرامة.

بعد التحرير لسياسي وخروج الاستعمار، حدث العكس، أصبح هناك عقدة نفسية ضد الإسلام، ورفض له حاد ومؤكد، باعتباره وسيلة لسلب الإنسان من حريته الشخصية.

لاشك أن أصابع الدول الاستعمارية والاستعمار خلف ذلك في الحالين، ولكن كعنصر ثانوي وعامل انتهازي ولكن الأصل والغيب (؟) في الإسلام نفسه.

الصراع بين إيران وتركي حقيقي جدا على الزعامة في الشرق الأوسط وغرب آسيا.

والغريب جدا أن هناك تناظرا كاملا في استراتيجية الصراع بينهما يشبه ...... التناظر الجغرافي العام العجيب.

فكما يتفق، هما يؤلفان رأسي حربة في مواجهة إحداهما الأخرى. ومن خلف كل منهما يمتد عالم مساعد يغذيها بالقوة وأسباب القوة والدعم.

فإيران اليوم نجحت في استقطاب كل آسيا من خلفها تقريبا، تمدها بالسلاح

(والنووي) وعلاقات صداقة وثيقة أو وثيقة جدا: الصين، الباكستان، الروسيا، حتى الهند، بل حتى اليابان التي رفضت تحجيم أمريكا لعلاقاتها مع إيران.

كل مؤامرات وخطط الكبار الآن غربا + شرقا لتحديد السلاح في الشرق الأوسط هي محاولة لتجريد العرب والإسلام من السلاح، ليقع بالكامل ونهائيا تحت السيطرة الإسرائيلية والتبعية الصهيونية.

أصبح للعالم الإسلامي اليوم أكثر من مركز منافس على الزعامة والصدارة والقيادة.

الغرب يعتبر تركيا رأس الحربة في العالم الإسلامي باعتبارها المواجهة لأوربا والمتصلة بها مباشرة + حجمها + تطورها + ارتباطها بأحلاف الغرب.

السعودية تعتبر نفسها المركز بحكم أصل الدين + البترول الآن.

مصر هي رأس العرب والعالم الإسلامي بحكم كل شيء رغم سقوطها السياسي لإسرائيل + أمريكا.

إيران تحاول وتدعي، ولكنها في الحقيقة خارج اللغة والحلقة والحلبة لأسباب كثيرة ليس أقلها أنها شيعية.

نحن عادة نميز بين نوعين من السيناريو في سقوط العرب: سيناريو الهنود الحمر (الإبادة) حيث هم، أي على يد غاز دخيل)

سيناريو الأندلس (الطرد من حيث هم، أي على يد أصحاب الأرض الأصليين)

الواقع أن الفارق بين الاثنين .... وشكلي........ وفلسطين تحديدا أهم مزيج بين الاثنين: إبادة على يد دخيل + طرد لا من أصحاب الأرض الأصليين وإنما على يد من يدعي ذلك كذبا. فهنا موقف اليهود وفلسطين هو على موقف العرب والآسيان رغم اشتراك الطرد (+ بعض الإبادة).

البوسنة الآن نسخة مصغرة من فلسطين أكثر منها من الأندلس.

آسيا العربية أو بلاد العرب الآسيوية ليست آسيوية أكثر مما تعد أفريقيا العربية أفريقية.

كلاهما في قارته وليس منها، كلاهما أقرب إلى بعضهما البعض جدا منهما إلى قارته.

لذا نحسن أن نعتبر العالم العربي عالما مستقلا عن كل من أفريقيا وآسيا، لا هو أفريقي ولا هو آسيوي (أكثر مما هو أوربي مثلا)

"آسيا تبدأ عند ...."

"أفريقيا تبدأ عند السنغال"

لذا يحسن أن يقسم العالم الإسلامي إلى:

١ – الإسلام العربي، ويشمل العالم العربي.

٢ – الإسلام الآسيوي، ويشمل بقية آسيا المسلمة.

٣ – الإسلام الأفريقي، ويشمل بقية أفريقيا المسلمة.

الفصل الرابع

العالم الغربي

لولا خطر الهيمنة والتسلط والاستعلاء الأمريكي لما توقدت أوربا سياسيا، إنها رد فعل أكثر منها منطقا طبيعيا، إنها سياسية أكثر منها جغرافية، وإن فرضت نفسها في النهاية "الجغرافيا سياسية" ولذا فإنها، كمعظم حقائق وواقع الجغرافيا السياسية، اصطناعية أكبر منها طبيعية، أي "غير جغرافية" ولكن على الجغرافيا أن تتعامل معها وإن لم يكن عليه أن تعترف بها.

ملاحظة هامة جدا وجديرة بالتفكير: منذ نشأتها وأمريكا تدعي المثالية السياسية في كل مجال وشيء، هم أشراف وأطهار وأنبياء العفة السياسية في العالم وعبر التاريخ.. إلخ، وقد "فلقوا" العالم بحديثهم وحواديتهم عن "حقوق الإنسان" وعدم الاستعمار و.. و.. إلخ، والعكس تماما تماما هو ما يفعلون ولكن ما من قوة على الأرض يمكن أن تقنعهم بذلك.

القوة العظمى الأولى (والآن الوحيدة) في العالم وفي التاريخ، هي أيضا وأساسا أجبن قوة على الأرض فهي لم تجرؤ على الافتراء على أية قوة كبيرة في العالم سواء من أعدائها أو أصدقائها (الألداء) فقد تجرأت على العدوان على أضعف وأصغر دول ودويلات العالم، ابتداء من فيتنام إلى بنما إلى العراق.

كل مواطن في العالم خاصة في العالم العربي، لا يعتبر أمريكا عدوه الشخصي إلى الأبد، هو عبد خائن أحقر من الحيوان ولا يستحق الحياة فعلا.

الاستعمار الأمريكي أعلى مراحل الاستعمار وشر أنواع الاستعمار في التاريخ جميعا.

مع ذلك، فكل مواطن في العالم "يفهم" حتى في أوربا كلها، يدرك أنه عدو لأمريكا وأن أمريكا عدوه الشخصي، ولكن لا يعلن، يعلم ولا يعلن ولا يلغيه، ولكنه ينتظر لحظة سقوط أمريكا ليبدي كما رهيبا .... مخزونا من الشماتة والفرح الجنوني. والأيام بيننا.

لم يشمت العالم في دولة عظمى سقطت كما سيشمت في أمريكا.

أمريكا أعدى أعداء العرب:

كل ضربة أمريكية جديدة للعراق، هي ضربة على مؤخرة وأقفية عرب الخيانة (عرب أمريكا) قبل أن يكون ضربة على رأس العراق.

أمريكا الآن تتحدى العرب والعالم الإسلامي بسفور تام وبمنطق سيادة السيد على تابعيه و/ أو عبيده.. وليس لهم حق الغضب. له حق الضرب والتأديب المطلق، وليس لهم أدنى حق في الغضب.

أمريكا تتعامل مع عرب أمريكا والعالم العربي كما تعامل زنوج أمريكا في الداخل.

رغم أن أمريكا تحاول بالبجاحة والوقاحة ن تفرض وصايتها على العالم أجمع، فإنها في الحقيقة لم تفرضها ولن تفرضها إلا على أولئك الذين قبلوا ويقبلون بهذه الوصاية: الجبناء، الخونة، العملاء، الفاشلون، الغاضبون.. إلخ.

وكما حدث استفتاء شعبي في أمريكا أيام الوحدة على أي لغة تتبنى، فكانت الإنجليزية بفارق ضئيل جدا على منافستها الألمانية (!)، فكذلك سيحدث في أوربا قريبا بالاستفتاء (كمخرج وحيد للمشكلة) وسيكون .... بين الإنجليزية والألمانية والفرنسية (على الأقل تحكم العدد + الإيطالية ربما)، ولكن غلب الظن أن الإنجليزي هي التي ستفوز، رغم أن عدد الألمان كبر والفرنسيين والإيطاليين مقاربين، لكن الحسم سيأتي من الدول الصغرى كبلجيكا وهولندا والدنمرك وأسبانيا والبرتغال.. إلخ، هم الذين سيرجحون كفة الإنجليزية لأنها

من قبل لغة الكثير جدا منهم، كل هذا عدا ثقل اللغة الإنجليزية العالمي بسبب الأمريكان.

إذا كانت: أكبر كارثة مني بها العالم في تاريخه جميع هو – للأسف – اكتشاف الأمريكتين، بكل ما نتهى إليه من ظهور دولة الإجرام والإثم والطغيان الولايات المتحدة، فإن حلم البشرية اليوم قد لا يكون إلا أن نرى أمريكا تختفي من على سطح الأرض "كقارة مفقودة" كالأطلنطيس، لتصبح أطلانطيس الجديدة "بمعجزة جيولوجية أو جيوديزية!

كم ذا كان يتغير تاريخ العالم والبشرية في القرون الخمسة الماضية، وكم ذا كان يختلف مستقبل العالم في الألف القادمة!

كلا، ليس صحيحا إننا عدنا إلى القرن ١٩! إنما عدن إلى أسود وأسوأ عهود الماضي البدائي، عصور الغاب والظلام والإجرام والطغيان، أسوأ من عصر المغول والتتار والوندال وكل طغاة ومجرمي الحرب والسلم في التاريخ، إن أمريكا وصبيتها وأطفالها، سجلت بشع سجل لدولة إجرامية في التاريخ، لقد عدنا إلى القرن ٢٠ ق. م وإذا استمرت الجريمة الأمريكية على وجه الأرض، فسيكون القرن ٢١ هو القرن ٢١ قبل الميلاد.

أمريكا تشرع علنا.. وقانونيا الإرهاب الدولي العالمي، حيث قررت – لنفسها فقط – محكمتها العليا حق أمريكا في اختطاف ومحاكمة أي أجنبي تطلبه.

هذا بالضبط يعني أن أمريكا بدأت تعامل العالم الخارجي كما تعاملت مع الهنود الحمر في الداخل، الإبادة والإرهاب الرسمي الشرعي!!

لقد بدأت "الحرب الباردة" بالفعل بين شاطئ الأطلسي، بين أوربا وأمريكا، خلفاء الأطلنطي، لقد انتقلت الحرب الباردة من الشرق – الغرب أو الشيوعية – الرأسمالية إلى داخل الغرب نفسه، الغرب – الغرب، وداخل الرأسمالية والرأسماليين القدامى، خاصة فرنسا (+ ألمانيا) وأمريكا (+ بريطانيا).

أصدقاء الأمس سيصبحون أعداء الغد، بمثل ما قد أصبح أعداء الأمس أصدقاء اليوم!

أمريكا دولة الشذوذ السياسي العظمى في العالم، كيف؟

١ - هي الوحيدة التي توسعت بالشراء أحيانا.

٢ - هي الوحيدة التي تشتري تبعية سياسات الدول الأجنبية بالشراء أي بالمساعدات والمنح المادية، أي تشتري السياسة بالاقتصاد.

٣ - هي الوحيدة التي تدعي المثالية السياسية، رغم أن .... هو النقيض المطلق تمما.

أمريكا هي "دولة الشذوذ السياسي" رقم واحد في العالم، أكبر وأول دولة شذوذ سياسي في العالم وفي التاريخ. بل "دولة "الانحراف السياسي" والإجرام السياسي، هي التجسيد القمي والنهائي لدولة الأمير وماكيافيللي، دولة الانتهازية والمؤامرات والتآمر والمخابرات، والعدوان والعداوة للعالم أجمع، دولة الحقد العظمى، الحقد العالمي الأعمى (تليها إسرائيل).

سقوط الاتحاد السوفيتي بدأ .... في أزمة كوبا وانسحابه المشين المهين (رغم كل مزاعم العقل والتعقل.. إلخ) فقد خرج مهزوما. وكانت تلك نقطة الانكسار في المسار وانتهاء دعوى الندية واعترافا من الاتحاد بدونيته وعجزه إزاء أمريكا.

باقي المنحنى معروف ومفهوم: ومن قممه ٥ يونيو التي كانت هزيمة أخرى ولكن غير مباشرة للاتحاد.

كانت بداية سقوط الاتحاد السوفيتي هي هزيمة العرب في يونيو، ثم أكملت في كامب ديفيد، وسقوط العالم العربي في يد أمريكا ومن ثم العالم الثالث.

هنا رد السوفيت بالانتقام لأنفسهم من مصر والعرب والعالم الثالث أجمع بقتل أنفسهم، بالانتحار السياسي، بتدمير الدولة!

تجمع دول البحر الأسود، وتجمع دول بحر قزوين، هي آخر بدع السياسة الدولية الإقليمية.

والحقيقة أنها مجرد "مناورات قوة" يهدف البعض إلى استغلالها للنفوذ الإقليمي والقوة الإقليمية خاصة تركيا بعد انهيار المعسكر الشرقي ولكن لا جدوى، فهي تجمعات سياسية مفتعلة وغير مقنعة إلى حد بعيد وهي مؤقتة وقريبا تنفض.

ظاهرة لافتة جدا:

كانت الهجرات البشرية دائما تتجه من آسيا إلى أوربا، وكان الآسيويون ينصبون في أوربا ويذوبون وينصرهون بها.

الآن ومنذ الروسيا حدث العكس: انتقل .... بالملايين من الروسيا لأوروبية إلى قلب آسيا، حيث ضحوا الآن .... في آسيا الوسط وعلى العمود الفقري لسيبريا.

وبذلك أيضا غزوا العالم الإسلامي في قلبه الآسيوي.

خريطة الإسلام السياسي في البلقان – كما في كثير من مناطقه الأخرى – معقدة جغرافيا وإثنيا. الخريطة الجيوإسلامية geomsolem map

كانت قناة السويس شريان وخط الحياة للإمبراطورية البريطانية – أي مقتلها – وبالتالي كان لابد من قتلها.

الآن أصبح البترول بالضبط هو شريان الحياة للإمبراطورية الصناعية الغربية عموما والأمريكية خصوصا – أي مقتلها جميعا – ولذا كان للأبد من قتله: فكانت إسرائيل ثم قتل العراق ثم استعمار الخليج اللاعربي.. إلخ.

(الآن – فعلا – لم يعد الخليج فارسيا ولا عربيا – حلت مشكلة التسمية حيث أصبح فعلا الخليج الأمريكي!)

في ظل القضية الثنائية كان الوضع كالآتي ببساطة: اختلف اللصان (العالم الأول والثاني) فظهر المسروق (العالم الثالث).

والآن في ظل القطب الأحادي أصبح الوضع كالآتي: اتفق اللصان، فضاع المسروق!

أوربا هي القارة الوحيدة تقريبا التي تمتاز بالتجانس الطبيعي جغرافيا. فكلها مناخ واحد بارد تقريبا.

بينما سائر القارات كل واحدة فيها قمة في التنافر الطبيعي، آسيا على الجبال والمرتفعات وأوطى الأراضي، أغزر الأمطار والصحاري، أكثف الغابات والأراضي الجرداء، أفريقيا نفس الشيء، أمريكا الجنوبية وكذلك الشمالية، حتى استراليا.

إلا أوربا! السبب ضآلة المساحة نسبيا + الموقع الفلكي الواحد تقريبا.

إذا كانت الأغلبية تدين وتهاجم وتشجب الاستعمار الحديث بلا تحفظ: وأقلية فقط تدافع عنه على استحياء، فالحقيقة أن الخطأ في الحالين مصدره التعميم. لابد أن نميز بين حالتين: شعوب الحضارة والتاريخ والشعوب البدائية. كان الاستعمار إنقاذا وفائدة محققة للأخيرة، ولكنه كان إهانة للأولى، كان للاستعمار أضراره أقل من فوائده للبدائيين، ولكن فوائده أقل من أضراره للمتقدمين. كان ضرورته أقوى من أضراره للبدائيين، ولكنه لم يكن ضروريا للمتقدمين أو لم تكن ضرورته تبرز أضراره وأخطاءه وخطاياه للمتقدمين.

أسلحة الدمار الحربية الحديثة التي جعلت الغرب وأمريكا سفاح وقرصان العالم، هي في الحقيقة "تكنولوجية الجبن" "وعلم الخسة" فهذه التكنولوجيا لا علاقة له بالشجاعة أو الفروسية أو القوة الحقيقية، فهي أزرار تضغط عليها أصابع الجبن من بعد.

وحروب الماضي وجها لوجه ورجلا لرجل أشرف وأكرم وأشجع.

أعلن الشيوعي السابق الآبق جورباتشوف (الخائن حقا) أن الشيوعية فكرة مجنونة وغير طبيعية وضد العقل والطبيعة.. إلخ)

المهم يوما ما سيدرك الصهاينة والإسرائيليون واليهود في العالم أجمع ويعلنون أن الصهيونية وفكرة الدولة اليهودية فكرة مجنونة وغير عاقلة وضد كل شيء في الطبيعة والعقل والمنطق، وكما هجر الشيوعيون السوفييت الشيوعية ولعنوها، سوف يهجر اليهود الإسرائيليون الصهاينة في فلسطين المحتلة ويهاجرون منها إلى الأبد ويلعنون أجدادهم!

العالم يتحول إلى قرية كوكبية – حسنا – الأصح قرية أمريكية.

جورباتشوف مجنون أصابته لوثة جنون فجائية فقتل بلده ثم نفسه. ويلتسين مجنون آخر أراد أن يزايد عليه في الجنون فنافسه فقتل بلده ثم انتحر.

لن يعتبرنا الأوربيون والغرب يوما ما منهم أو مثلهم على الإطلاق. وهذا تسليم، وغيره خطأ، ولكن التقارب بيننا يتم بالتدريج الوئيد، والآن يتسارع، الفروق موجودة وستبقى، لكن المشابهات ستظهر.

إذا كان الأوربيون يسمون الصرب "خنازير أوربا"، فإن الصهاينة هم "خنازير العالم العرب" ومأساة البوسنة والهرسك هي بحذافيرها مأساة فلسطين.

الفصل الخامس

خواطر سريعة

في عصر التكنولوجيا، أصبح الإنسان العادي يعيش في عالم لا يفهمهم أكثر من أي عصر مضى، الاغتراب التكنولوجي، حقيقة وحقيقي.

ما أكثر ما تعرف المسلم عن الإسلام، وما أقل ما يعرف عن المسلمين.

انحدار وسقوط الدول لا يكون بهبوطها دون أعلى قمة قوة سجلتها ووصلت إليها، دائما يكون بتجاوز دول أخرى لتلك القمة. فالانحدار نسبي لا مطلق، ولكنه أقوى وأخطر من المطلق.

التطرف الديني هو الابن الرسمي للتعصب الديني.

والإرهاب الديني هو الابن الرسمي للتطرف الديني.

والعنف الديني هو الابن الرسمي للإرهاب الديني.

حلقة رباعية كالسلسلة، التعصب – التطرف – الإرهاب – العنف.

اخدش أي يهودي، تجد تحت جلده صهيونيا.

كان الغرب يتحدث عن "الخطر الأحمر" أي الشيوعية، فابتكر الآن "تعبير "الخطر الأخضر" إشارة إلى خطر الإسلام!

يقول المسلمون: العيب ليس في الإسلام، ولكن في المسلمين.

فيقول الغرب: العيب في الإسلام والمسلمين كليهما.

البترول الذي في الخليج لوثة جيولوجية أصابت الكرة الأرضية!

كلا، ليس "عبيد الرأسمالية" بأفضل بالضرورة من "عبيد الشيوعية"!

لأمر ما، للأسف اليهود قزم قميء يقود العملاق المسيحي الجبار من خطامه كطفل هندي يقود فيلا.

العالم العربي أصبح (كالعالم الإسلامي!) حزمة من الأساطير والخرافات السياسية!

الشعوب الراقية تؤدب حكامها؛ الشعوب المنحطة تفرعن أو تؤله حكامها.

اليابانيون أقصر شعوب العالم قامة، وأطولهم عمرا!

سيثبت التاريخ الآتي:

لم يسئ أحد إلى العرب مثلما أساءوا إلى أنفسهم بالفرقة والأحقاد والتواطؤ والغدر، وفوق الجميع الخيانة.

السؤال الحائر الملح: القرن ٢١ قرن من؟ لن يكون قرن أو أمريكا أو اليابان أو أوربا أو و.........إلخ، إذا نجح العرب في إزالة إسرائيل، من على وجه الأرض فحينذاك سيكون القرن ٢١ قرن العرب دون منازع!

لنفترق أحبابا فالطير كل موسم يهجر الهضابا

والشمس يا حبيب تكون أحلى عندما تحاول الغيابا

كي أكون جميلة وأكثر اقترابا

كن في حياتي الشك والعتابا

كن مرة أسطورة

كن مرة سرابا

كن سؤال في........ لا يعرف الجوابا

أسألك الذهابا

ملحق

من كتابات جمال حمدان حول قضايا عصره

١ - جغرافية الوحدة العربية

إن الجغرافيا لا تكرر نفسها أكثر مما يعيد التاريخ نفسه. ولئن كررت المورفولجيا الطبيعية أي البيئة الجغرافية أو ما يسمى "بالموضع" نفسها أو نفسه أحيانا إلى حد أو آخر فإن "الموقع" الجغرافي لا يكرر نفسه البتة. فالموقع صنو نفسه فقط. وليس على الأرض نقطتان تشتركان في الموقع، إلا أن تركب إحداهما على الأخرى تركيبا! فإذا ما نظرنا إلى موقع مصر في صميم قلب العالم العربي وموقع العراق على أقصى جناحه الشرقي فهمنا كيف تتقاطر بعض الاختلافات في التوجيه والتأثير التاريخي والسياسي والبشري.. إلخ.

تلك جميعا فروق موضوعية حقيقية في التكوين الجغرافي وفي الذبذبات التاريخية لا سبيل إلى تجاهلها رغم التشابه الأولي والقاعدي الذي لا يمكن التقليل منه كذلك. ونحن حين نجمع بين المشابهات والاختلافات فإننا لا نفعل ذلك لنؤكد الاختلافات أو نعتم المشابهات، وإنما من أجل الحقيقة العلمية النزيهة التي لا تنتخب ما يرون وتستبعد ما لا يروق لنظرة معينة أو لنظرية عاملة مسبقة. ثم لا نتوانى بعدها موضوعيا عن أن نقرر بكل قوة رجحان كفة المشابهات الأولية على الفروق الثانوية رجحانا حاسما وقاطعا.

وعند هذا الحد من المناقشة يمكن أن نصل إلى قانون هام في "الشخصية الإقليمية" يمكن أن يحسم لنا أي خلاف فكري بين المثقفين في مجال وحدة الأرض.

وأعني بذلك أن الشخصية الإقليمية أشبه شيء بالشخصية الإنسانية.. فالشخصية – هذه وتلك – مركب معقد للغاية من عدد ضخم من العناصر وتوليفة معينة من السمات والصفات والملامح والمعالم. فإذا اشتركت شخصيتان في الغالبية العظمى من تلك العناصر والقسمات، ولكن اختلفتا في قلة منهما مهما تضاءلت. فليس علينا جناح أن نتكلم عن "تفرد" الشخصية في كل منهما رغم التشابه الواسع المدى، ودون أن يعني ذلك أي تنافر أو تضاد بينهما.

ولهذا فإن الحديث عن تمايز روح المكان وتفرد الشخصية الجغرافية لمصر لا يعني التأكيد على الاختلاف على حساب التشابه، وإنما يعني ببساطة أن هنا توليفة خاصة في نسبها وأبعادها من الملامح البيئية والعناصر الطبيعية التي قد يتكرر أغلبها في العراق ولكن في توليفة خاصة أخرى وبالتالي في أصالة وعبقرية مكان وشخصية إقليمية متميزة بنفس الدرجة. وحتى بعد هذا، فمن ذا يزعم أن تفرد عبقرية المكان في مصر أو العراق – أو أي قطر عربي أو غير عربي آخر في هذا الصدد – يعني تجانس كل أجزائها وقطاعاتها تجانسا تاما؟ إن هي إلا مسألة تعميم من قبيل التبسيط والتركيز، وفكرة "الإقليم" نفسها عن الجغرافيين ليست إلا تعبيرا اختزاليا تجاوزيا بحتا لا يعني التجانس الداخلي المطلق.

ليس من المصلحة القومية إذن، ولا هو من الموضوعية العلمية في شيء، أن نبحث عن المشابهات ونتجاهل الفروق، وإنما علينا أن نجمع بين الجانبين في تقييم محايد دقيق.. وبغير هذا تكاد التجربة تقول إن الوحدة تقوم – كما ينبغي – حين ننظر إلى المشابهات وهي الطاغية لا شك، ولكنها من أسف تتعثر لأننا نتجاهل – عاطفيا – الاختلافات رغم أنها ثانوية.

ومن هذه الزاوية يمكن أن ننظر إلى العالم العربي ككل فنجد ظاهرة فريدة تؤكد فيه غلبة عنصر التشابه على الاختلاف في النهاية. ولا نقصد بهذا فقط ما

نجده من أن الصحراء قاسم مشترك أعظم بين كل الأقطار العربية، حيث إنه ما من دولة عربية باستثناء لبنان لا تعرف قدرا أو آخر من الصحراء، مما يمنحها جميعا مسحة طبيعية مشتركة وطوابع بشرية متقاربة. وإنما نقصد ظاهرة خاصة في توزيع البيئات والأنماط الطبيعية في الوطن العربي تعطيه إيقاعا جغرافيا وتضفي عليه سمترية وتناظرا نادر المثال. تلك أعني ظاهرة "النظائر الجغرافية".

ففي العالم العربي أربعة أنواع من البيئات الطبيعية يتمثل كل نوع في زوجين من النظائر الجغرافية التي تتشابه في التركيب والموقع والوظيفة وفي كثير من الملامح والتوجيهات البشرية والمعالم التاريخية. فثمة أولا البيئة النهرية الفيضية التي تتمثل في مصر والسودان يناظرهما على التقابل العراق برافديه. ثم هناك البيئة البحرية – الجبلية التي تتمثل خصائصها في الشام على نحو ما وضحنا منذ قليل، ولكنها تتكرر على نطاق أضخم في جزيرة المغرب العربي الكبير، فهي مثلها في تركيبها المضرس المتغضن وأمطارها وغاباتها وثلوجها وحاصلاتها وتوجيهها البحري بل وتفتتها السياسي في الماضي وأقلياتها المختلفة في الحاضر. كذلك يمكن أن تعد الجنوب العربي ابتداء من الخليج حتى عدن بيئة بحرية أخرى تناظر الشام وتشبهه في التوجيه البحري وقيام دول المدن والهجرة إلى ما وراء البحار.

وهناك بعد هذا البيئة الجبلية بخصائصها ومشاكلها المعروفة، نجدها في قلعة اليمن وتتكرر على التناظر في كردستان شمال العراق. ويبقى بعد هذا من رقعة الوطن العربي كتلتان كبيرتان من البيئة الصحراوية الكاملة: صحراء جزيرة العرب، والصحراء الكبرى. وبينهما من المشابهات ما يبدأ من البيئة الطبيعية ليمتد إلى أدق الظاهرات البشرية ابتداء من الاقتصاد والتجارة ونظم البناء إلى التقاليد القبلية والغزوات والإفلات من الاستعمار الأوربي وسيادة السلطة الثيوقراطية والجمعيات الدينية.. إلخ.

والمحصلة العامة هي أن وجه العالم العربي وإن لم يكن بالقطع متنافرا كالموازيكو، فهو ليس متجانسا تجانسا مطلقا. وإنما ثمة "تجانس مركب" كما قد تقول، يجمع بين الأشباه والأضداد في إيقاع جغرافي ونبض إقليمي فريد. وحين نتحدث بعد هذا عن تفرد كل قطر فيه، أو عن شخصية إقليمية بارزة له، فلسنا بذلك نتردى في محلية ضيقة أو عصبية إقليمية يمكن أن تتهدد النظرة القومية العربية أو تتصادم معها.

والعالم العربي بما فيه من تنوع معقول ونظيم من البيئات الطبيعية يقدم نموذجا مثاليا لإمكانيات التكامل الاقتصادي المكين والتخطيط الإقليمي الرشيد وربما الكفاية الذاتية المعقولة.. وإذا نحن قارنا عالمنا العربي بمنطقة جغرافية كحوض البحر المتوسط لتأكدت لنا ميزتنا الكبيرة.

فحوض البحر المتوسط لتماثله الطبيعي في الإنتاج والسلع والصادرات يمارس أقل قدر من التجارة والتبادل بين دولة الأعضاء، بينما تتجه أغلب نشاطاته الاقتصادية مع العالم الخارجي ككل.

وإذن فليس مما يضير قضية الوحدة العربية أو يخرج حركة القومية العربية أن يكون لكل قطر من أقطاره شخصيته الطبيعية المتبلورة بدرجة أو بأخرى داخل الإطار العام المشترك.. وليس من المصلحة العملية أن نحول أن نطمس الفروق الصحية المعقولة بين وحداته في سبيل وحدة جغرافية منمطة أو تجانس طبيعي باهت موهوم.

وهذا التنوع والتباين في البيئات – سمة عبقرية المكان أو تفرد الشخصية الإقليمية أو ما شئت – إنما يثري الشخصية العربية العامة ويجعلها متعددة الجوانب والأبعاد. وهو في نفس الوقت لا علاقة له بالتعدد الدستوري ولا يعني بالضرورة التمزيق السياسي أو تأكيد الانفصالية الراهنة بحال، ولا يشجع الولاءات الوطنية في وجه الولاء القومي العربي الكبير أو على حسابه. لا، ولا

هو يمهد لنعرة محلية وانعزالية فكرية وسياسية بقدر ما يضيف إلى العزة القومية الواسعة وينميها؛ إنه يدعم عصبية العروبة الصحية دون أن يتحول إلى تعصب أو إقليمية بغيضة، وهو بذلك من مقومات الوحدة العربية لا معوقاتها.

إن القومية العربية حقيقة لاشك فيها، والوحدة العربية آتية لا ريب فيها. والشخصية العربية الكبيرة هي جوهر القومية والوحدة. وهي تتألف من مجموع الشخصيات الإقليمية للأقطار العربية دون أن تتعارض هي معها أو تلغيها تلك؛ تماما كما تتألف شخصية مصر أو اليمن أو الجزائر... إلخ من مجموع شخصيات الأقاليم والمناطق الصغرى التي تتكون منها، دون أن تجمد تلك الأقاليم والمناطق الصغرى على نفسها أو تعني تعارضا مع شخصية القطر ولا نقول خروجا على كيانه السياسي. والأمر كله في النهاية سلم متراتب على مستويات متدرجة من الشخصيات المكانية التي تتدرج في النهاية وتلتئم في الشخصية العربية الكبرى، وتؤدي إلى القومية العربية، حتى تصب في الوحدة الكبرى كأمل ومصير.

٢ – قضية فلسطين والمزاعم الصهيونية:

والقضية التي بيننا وبين العدو الصهيوني الإسرائيلي هي أولا وأخيرا قضية الأرض، أرض فلسطين السليبة. ولا يجوز أن نسمح لمناورات العدو. بما يخلق من مشاكل ومواقف جديدة بالعدوان والتوسع، كهذا الذي حدث بعد ٥ يونيو، أن يبعد نظرنا عنها، لا يجوز أن نسمح للعدو أن يلهينا – وهذا تكتيكه الأثير – بمشكلة جديدة عن المشكلة القديمة، الأصل والأم، فما موقف العدو الفكري منها، وكيف يدافع عنها! في البدء كان "الوعد"، وفي النهاية كان "المعاد"! هذا في اختصار شديد هو جوهر موقف العدو.. وكل ما دون هذا، قبله وبينه وبعده لا محل له من الاعتبار أو النقاش!

نبدأ أولا بشيء من أبجدية التاريخ غير الخلافي. من المعروف تاريخيا أن

أرض فلسطين – كنعان في ذلك الوقت – ليست الوطن الأصلي، الأب أو الأم، لقبائل العبريين، بل هم وفدوا عليها من الكلدانية في جنوب العراق تحت قيادة إبراهيم حوالي ١٨٠٠ ق. م، "وقال الرب لإبرام، انطلق من أرضك وعشيرتك وبيت أبيك إلى الأرض التي أريك". وقد انتزع العبرانيون هذه الأرض من أصحابها الأصليين بالحرب والدم وفي هذا تقول التوراة على لسان الأجانب مخاطبين إسرائيل: "أنتم لصوص، أخذتم عنوة أرض الشعوب السبعة".

وقد أسس اليهود دولتين في فلسطين الداخلية، بدأت أولاهما في ١٠٠٠ ق.م، وامتدت أخراهما حتى القرن السادس ق. م وبزوالها زالت إلى الأبد دولة اليهود في فلسطين بعد حياة طولها أربعة قرن فقط، يغلب عليها الطابع الدموي العنيف، بينما أن كل إقامة اليهود المتصلة في فلسطين لم تزد على ستة قرون ثم بدأ الخروج والشتات (الدياسبورا). وللشتات مراحل ثلاث، البابلي، ثم اليوناني، ثم الروماني الذي صفى وجود اليهود تماما، نهائيا وإلى الأبد، في فلسطين منذ عام ٧٠ ميلادية ومنذ ذلك التاريخ أنفقوا نحو عشرين قرنا في الشتات في كل أرجاء العالم، ولكن أساسا في أوروبا، وحديثا في أمريكا، حتى كان اغتصاب فلسطين في ١٩٤٨.

أما تاريخ العرب في فلسطين فيبدأ، شكلا فقط، منذ الفتح العربي ليستمر ١٣ قرنا متصلة بلا انقطاع. ولكن وجودهم الفعلي فيها، بصورة سلمية عن طريق الهجرة والتسرب، وجود تاريخي يسبق الفتح بقرون وقرون، فضلا عن أن الكنعانيين سكان فلسطين الأصليين هم في الحقيقة فرع من العائلة السامية الكبيرة التي تأصلت في الجزيرة العربية وخرجت منها، والتي خرج منها وتفرع عنها أيضا العبريون، الذين لا جدال في أنهم ساميون في أصولهم السحيقة الأولى وحتى ما قبل الشتات. والعناصر الثلاثة، العبريون، والكنعانيون، والعرب، أقارب بالتأكيد دمويا، أبناء عمومة إذا شئت، في حدود – ونضع خطا تحت هذا التحديد – في حدود ذلك التاريخ القديم قبل الميلادي.

نظرية الحق الإلهي المقدس

هذه الحقائق التاريخية مقررة لا خلاف عليها، وإنما يبدأ الخلاف في التأويل والتخريج. فماذا يقول اليهود أو الصهيونية وإسرائيل؟ على أي أساس طالبوا بفلسطين، وكيف يبررون أو يمنطقون اغتصابهم لها الآن بعد أن انقطعت بها صلتهم ٢٠ قرنا؟

يقول العدو أن العلاقة بين "الشعب" اليهودي (كما يصورون أنفسهم) وبين "أرض إسرائيل Erets Israel" (كما يسمون أرض فلسطين) رابطة معقدة غير عادية، بل وفريدة لا مثيل لها في العالم أجمع، حتى لتبدو كأنها "سر" دفين، ومناط هذه العلاقة وهذا السر هو الوعد الإلهي "لنسلك أعطي هذه الأرض". وهو وعد مطلق من الأزل إلى الأبد: "أعطي أرض كنعان حبل ميراث لكم".

ولكي نضغط ونؤكد على خطورة هذا الأساس الديني في الدعوى برمتها، نذكر هنا قول وايزمان من أن وعد الرب هو "ميثاق" الشعب اليهودي. ومصداقا لهذا أيضا، فلقد كان الإرهابيون الصهيونيون في فلسطين ١٩٣٩، المتظاهرون ضد الكتاب الأبيض الذي يحدد الهجرة، يصرخون بشعار "التوراة، لا الانتداب، تعطينا حقنا في هذه الأرض". وإذن فنقطة البدء في كل الرؤية اليهودية للتاريخ هي رؤية دينية، توراتية، بحتة.

ذلك الوعد الإلهي له، بالتعريف، جانبين، فليس اختيار الرب اختيارا للشعب وحسب، بل وللأرض معه. فإذا كان ثمة "شعب مختار"، فإن هناك أيضا "أرضا مختارة"، الأول بنو إسرائيل، والثانية أرض إسرائيل، الأول هو "الشعب الموعود"، والثانية هي "أرض المعاد". ومادام الاختيار إلهيا، فإنه يضفي صفة الامتياز على الأرض مثلما يضفيها على الشعب سواء بسواء، وكل له – بالفعل – سلسلة مطولة من "أفعل التفضيل" في التوراة وأساطير الربانيين (حاخامات اليهود).

فأما الشعب، فشعوره بأنه الشعب المختار يعني التميز والامتياز معا، أي التفرد والتفوق في آن واحد، وإن كانت الدعاية الحديثة تحاول بحدة أن تحصر المعنى في التميز أو التفرد فقط. والمهم أن هذا أو ذاك كان أكبر تمييز لهم عن الآخرين وعن الأجانب في الشتات، وجعلهم فيه "شعبا من الكهنة وأمة مقدسة"، مما حفظ عليهم وحدة الوجدان القومي وصفة الشعب أو الأمة عبر التاريخ وفي "المنفى" أو "أرض التشريد" كما يعتبرون الشتات. بل "أرض الأعداء" كما تسمى التوراة كل أرض غير أرض إسرائيل، وهي تسمية "حدة" كما تعتذر الدعاية الصهيونية الحديثة، ولكنها مفهومة فيما يبدو إذا اعتبرنا تفوق الشعب المختار.

والأرض، بعد ليست أقل امتيازا بدورها، فكل أرض غير أرض فلسطين (يقصد إسرائيل) أرض "نجسة"، وهذه الأرض وحدها – "الأرض المقدسة" – هي الأفضل في كل شيء. ثمارها مياهها، وهواؤها.. إلخ. وهي إلى هذا قلب الأرض والعالم، بمثل ما أن القدس قلبها هي، وأن الهيكل قلب القدس، والحائط قلب الهيكل.. إلخ.

وبديهي بعد ذلك أن تنشأ "علاقة خاصة" بين الشعب المختار والأرض المختارة. فالأرض "تتنجس" بالأجانب الغرباء، بل هي "تعاقبهم" وترفض أي أمة أخرى: "وتقذف الأرض سكانها"، "أترك الأرض بلقعا، فيذهل لها أعداؤكم الذين يسكنونها". وتفسر الصهيونية هذا تاريخيا بأن فلسطين لم تزدهر وتفض بالخير إلا في وجود اليهود بها، فلما خرجوا أو طردوا منها تدهورت وخربت واتضحت، فتعرضت للغزوات التترية المدمرة. ولحق الجفاف والظمأ ريها وآبارها وزراعتها، وتناقص سكانها، ولم تقم لهم قائمة بعد الأرض. فإن الأرض "تنتظر" ذلك كدولة مستقلة، وإنما هوت إلى مجرد إقليم تابع قصي مهمل في إمبراطورية بعد أخرى.

وإذن فالأرض نفسها بعد الخروج وبدون الشعب في "منفى"، بمثل ما أن الشعب بدون الأرض في منفى. وكما ينتظر الشعب الأرض، فإن الأرض

"تنتظر" الشعب هي الأخرى، فإذا ما عاد أعطته سرها وصدرها، وعاد الخصب والرخاء، وأصبحت "جنة الرب"، كالجميلة النائمة في الغابة التي تنتظر الفارس الذي يوقظها بقبلته". والمثل - بالطبع! - هو دولة إسرائيل اليوم حيث جففت المستنقعات واستصلحت التلال، وأقيمت المزارع والمستعمرات والمصانع وكل مظاهر الحضارة الحديثة.. إلخ. وخلاصة هذا كله، إذن أن العلاقة بين الأرض والشعب تستمد أساسا ومباشرة من الدين، أي من رباط روحي مقدس وحنين قديم دفين.

وفي سبيل تكريس هذه العلاقة، أخضعت الديانة نفسها للأرض، فتمام وكمال العقيدة لا يكون إلا على الأرض المقدسة، والشعب لا يستمد عنفوانه وتفتحه الروحي إلا من هذه الأرض. أي أن تحقيق الذات لا يتم إلا "بالاتحاد الإيكيوميني" أو الالتحام الإيكولوجي معها هي بالذات. ومعنى هذا مباشرة أن الشريعة اليهودية نصت ببساطة على أن "أرض فلسطين لا يمكن أن تصبح ملكا للغرباء". ولقد يشعر اليهودي فيها بعد الخروج.. كما شعر في المنفى بعد الشتات، بالمذلة والاضطهاد، ولكنه مع ذلك ولذلك لم يكن يشعر أنه يعيش في "أرض الأعداء"، وإنما في أرضه، وإن يكن كالغريب في وطنه..

ومصداقا وتحقيقا لهذه العلاقة اللازمة بين الأرض والشعب، فإن حركة الانبعاث القومي ودعوة العودة في العصر الحديث، كما تتمثل في الصهيونية السياسية، أخذت، كما يضغط مارتن بوبر، أحد فلاسفتها، "اسم سكان لا اسم شعب". ويفسر هذا بأن كلمة الصهيونية، المشتقة من جبل صهيون بالقدس، تشير إلى أن "المسألة ليست بالدرجة الأولى مسألة شعب من حيث هو شعب، وإنما مسألة تلازم مع أرض بعينها". ولمثل هذا السبب بالدقة، ورغم هرتزل، رفضت اليهودية العالمية في القرن الماضي كل عروض التوطين خارج فلسطين، ابتداء من الأرجنتين إلى كينيا، ومن مراكش إلى أوغندة، بحسبانها وأمثالها جميعا "ملجأ ليليا" ليس أكثر..

وفي النتيجة النهائية، يترتب على هذا التوجه الديني المحدد نتائج بل أحكام عملية قاطعة وبالغة الخطورة، يمكن أن تضع يدنا على لب منطق الاغتصاب الإسرائيلي وضوابطه ومحركاته الأخيرة. فأولا، لما كانت الشريعة اليهودية تنص على أن أرض فلسطين لا يمكن أن تصبح ملكا للغرباء، فإن احتلالها بالفعل والواقع لا يشكل ولا يكسب حقا فيها. ومن هنا فإن احتلال العرب لفلسطين ١٣ قرنا متصلة لا يمثل مشكلة منطقية أو حقوقية. فاليهود – كما يصر الكاتب الصهيوني حركبي – هم "المالك الشرعي" للأرض بحكم الحق الإلهي. أما العرب فلم يكونوا إلا "مستأجرا للأرض" بحكم وضع اليد في غياب المالك الشرعي. وإذا قد كانت لهم حقوق معمول بها بالفعل، فما ذاك إلا ظالما كان المالك الشرعي غائبا، أما وقد عاد، فإن عليهم "إخلاء" المكان للمالك الأصلي وصاحبه الشرعي.

وبصيغة أخرى أكثر تواضعا، فإن المنطق الديني للصهيونية لا ينكر أن للعرب حقا في فلسطين: للعرب حق تارخي، ولليهود حق تاريخي، ولكن حقوق اليهود أسبق زمنيا وأعلى مرتبة، وفلسطين لم تحتل في التاريخ العربي مركزا ومعنى كالذي احتلته في تاريخ اليهود، ولذا فلا تصادم حقيقي بين الحقين، والقانون الدولي يقبل بهذا. وربما كان ظلما أن تؤخذ فلسطين من العرب، ولكن حرمان اليهود منها ظلم أكبر وأفدح. ومن هنا فإن على العرب، بمحض المنطق والعقل والتفهم، بل بأوليات العدل والقانون، أن يقبلوا بالتنازل عن فلسطين سلميا بغير عنف ولا عداء ودون شعور بالظلم، "فليس لهم الحق في أن يشعروا بأنهم مغبونون" في هذا. ولكن العرب "للأسف لا يفهمون ذلك"..

٣ – نحو حل علمي لقضية قبرص

مشكلة قبرص هي أنها كانت جزءً لا يتجزأ من عملية "شد الحبل" التاريخية وعملية المد والجزر البشري التي شهدها بحر إيجة بشاطئيه في آسيا الصغرى

واليونان طوال قرون التاريخ القديم، ولكن بالأخ عبر التاريخ الحديث. وقد خلقت هذه الحركة البشرية البندولية قدرا من التميع الجنسي والفوضى الإثنولوجية في هومش وأطراف المنطقة، وخلقت بعدها دائما جيوبا وأسافين وجزر بشرية متنافرة على الجانبين – تماما كما حدث بين العناصر السلافية والجرمانية عبر السهل الأوربي العظيم حيث تخلفت مشكلة بولندة الخالدة مع فارق واحد هو البحر هنا والسهل هناك.. ولكن منذ البداية والمد الإغريقي بحكم أصله البحري الجزري هو السائد في هذه العملية حيث قذف بمستعمرات دائمة من اليونانيين استقرت وتوطنت على سواحل غرب الأناضول. إلى أن جاءت الموجة العثمانية حديثا فاجتاحت اليونان ضمن ما اجتاحت عسكريا، ولكن مدها البشري التعميري في هذا المحيط الأرخبيلي والبيئة البحرية كان محدودا باعتبارها قوة بر أصلا ورعاة وفرسان لا شعبا من الملاحين والبحارة. ولهذا فإن العنصر التركي في جزر يونانية مثل كريت وقبرص لم يزد كيرا على نواة من الحاميات العسكرية والقشرة الحاكمة مضافا إليها توابعها وطفيلياتها.

وقد كان لابد لهذه الرواسب البشرية المتخلفة من أن تصبح مع بزوغ عصر القوميات خميرة للمشكل السياسية ومشتلا للصراعات الطائفية. وقد بدا هذا بالفعل منذ حرب استقلال اليونان، ولكنه أخذ أعنف صورة مع الحرب الكبرى الأولى حين أصبحت المجازر هي "الأمر اليومي" المتبادل بين العنصرين سواء على هذا الجانب من البحر أو ذاك هذا عدا حركة الهروب "والخروج" الضخمة لأقليات الجانبين إلى بلدها الأم ولم يضع حدا لحمامات الدم الجماعية هذه إلا مبدأ واحد حاسم هو "تبادل السكان" ففي ظل عصبة الأمم تمت عملية ضخمة من تبادل الأقليات انتظمت نقل نحو ثلث مليون من الأتراك من اليونان إلى الأناضول ونحو مليون من اليونانيين من الأناضول إلى اليونان. ولم تكن العملية نزهة جيوبوليتيكية أو ترفا اقتصاديا. فهي عملية جراحية شاقة إنسانيا، طاحنة سياسيا، باهظة ماديا. تكتنفها مشكلات قانونية وحقوقية هذه المأساة الإنسانية.

ولكنها مهما قيل عنها كانت أهون الشرين، ورغم ذلك كله فهي لم تصف الأقليات بين الجانبين تمما، فقد ظل في تركيا عدد ضخم من اليونانيين يتركزون أساسا في اسطنبول وأزمير ويقدر عددهم حاليا بنحو ٨٠ ألفا. هذا بينما ظل في الجانب اليوناني عدد أكبر قليلا من الأتراك قوامه المائة ألف الذين يشكلون الآن مشكلة قبرص الأولى والأخيرة.

التبادل.. لا التقسيم

والذي نود أن نقرره الآن أن مشكلة قبرص الحالية هي في هذا الضوء الواقعي جزء لا يتجزأ من التسوية العامة، لا أقول الإقليمية وإنما الإثنولوجية، رغم ما في هذا التعبير من غرابة، تلك التسوية التي بدأت منذ مدة ولكنها تركت ذيولا لها وفروعا، إنها بقية لم تتم لعملية تبادل الأقليات الشاملة بين تركيا واليونان. وإنه من هذه الزاوية يبدأ الحل الصحيح للمشكلة. فما دام الأصل قد سقط فقط وجب أن يسقط الفرع كذلك. والذي نعنيه بهذا هو أن علينا اليوم أن نستكمل ما بدأناه بالأمس بعد الحرب الأولى، فتتم عملية تبادل الأقليات بين الجانبين. لقد ظل البلقان طويلا يسمى "برميل بارود أوربا" بسبب ما كان يغص به ويرصعه من أقليات وقد حاولت تسويات الحرب الأولى والثانية أن تصفي هذه المشاكل، ولسنا نفهم لماذا تترك قبرص وحدها أشبه بقنبلة زمنية موقوتة تهدد بالانفجار في أي وقت..!!

ولهذا فنحن نقترح أنه مادام في قبرص مائة ألف تركيا عاجزين عن الحياة فيها مع أصحابها اليونانيين، بينما أن في تركيا نحو هذا العدد من اليونانيين يعيشون بالضرورة كأقلية غير مستريحة وسط محيط تركي، فإن المنطق الطبيعي أن تتم عملية هجرة مزدوجة وتبادل أقليات بين هذين القطبين. ونحن ندرك تماما قسوة التبادل والتهجير والمشاكل التي تكتنفه، ولكنها تتضاءل بجانب المشكلات الحادة الملتهبة اليوم في الجزيرة وحولها. إنها تعني آلافا من تسويات

حالات الملكية والحقوق القضائية وتقييم وتثمين الممتلكات والتعويضات العينية والنقدية.. إلخ، وتعني تكاليف باهظة في عمليات الشحن والنقل والتوطين.

ونعني بعد كل هذا مشاكل المهاجرين الذين انتزعوا من بيئة عرفوها أجيالا إلى بيئة أخرى وإن تكن من الوطن الأم سيكونون فيها غرباء إلى حين، يصعب عليهم التكيف السريع فيها، بل قد لا يجدون كل الترحيب من مضيفيهم الجدد فيها.. إلخ، ذلك كله لابد أن يدخل في كشف الحساب والتسوية..

ومن الواضح أيضا أن هذا الحل قد افترض الخروج بالمشكلة من حدود الجزيرة المباشرة إلى إطار تركيا واليونان معا، وبهذا يأخذ شكلا أو بالأحرى إشكالا سياسيا جديدا. ولكنه يفترض أيضا أن ذلك كله تسوية ستتم في ظل ورعاية الأمم المتحدة، وبمساعدتها دعاية وخبرة ومعونة. ولا ننسى هنا أن مبدأ التبادل السكاني من حيث هو مبدأ أمر مقرر ضمنيا في مطالب الأتراك بالتقسيم كما رأينا، وهو بهذا ليس جديدا على الجزيرة وإنما ينتقل إلى أباد أكبر منها وهناك بديل ممكن لهذه المقايضة الجنسية وهو المقايضة الإقليمية. ونقصد بها تبادل أرضي بجانب التبادل السكاني. فلقد يرى أن تتنازل اليونان عن جزيرة صغيرة من جزرها العديدة التي تحف بسواحل تركيا في بحر إيجه، وذلك مقابل الأرض التي يملكها القطاع التركي في قبرص الآن. وإليها ينقل الأتراك القبارصة بعد إخلائها. ومن ميزات هذه الصفقة أنها تقدم بيئة جزرية ووسطا زراعيا أشبه ما تكون بظروف قبرص، وأن الجزيرة المقترحة تمثل وحدة أرضية منفصلة محددة. ولكن أهم من ذلك القيمة الاستراتيجية بالنسبة لتركيا حيث إن كل الجزر التي تحدق بساحلها الإيجي وتكاد تلامسه وتمثل بالقوة خطرا عسكريا يهدد أمنها، كل هذه الجزر يونانية وليست تركية.. ولعل جزيرة مثل خيوس أو مثل ساموس – وكل منهما يقع أمام أزمير – تحقق هذه الغاية..

وإذا كانت تركيا تطالب بقبرص أو بجز منها على زعم أن قربها منها يهدد

سلامتها، فإن هذه الجزر الصغيرة ألصق بسواحلها من قبرص بل وتحدق بأخطر وأغنى سواحلها وهو الساحل الغربي.. بينما لا تواجه قبرص إلا أفقر سواحلها وأقلها خطرا وقيمة الساحل الجنوبي..

ولكن السؤال هو: هل تقبل اليونان هذا التنازل؟!.. وأهم منه أيضا ، ذلك سيظل يترك أقلية يونانية هامة في مدن تركيا الكبرى. ولهذا فنحن نفضل التبادل السكاني فقط دون التبادل الإقليمي كحل أمثل للمشكلة القبرصية.

وبعد..

فإن مشكلة قبرص معادلة صعبة. وحلها المنطقي فيما نرى هو تبادل بعض القيم بين طرفيها. وهذا وحده هو الذي يمكن أن يحمي الجزيرة من الحرب الأهلية.

وإذا كان في هذا المبدأ صعوبات وعقبات خطيرة، فيبدو أن هذا هو الثمن الباهظ الذي لابد أن تدفعه الأجيال اللاحقة في عصر القوميات الصارمة لقاء السيولة القومية والمرونة الإثنولوجية التي كانت تتمتع بها الأجيال السابقة في عصر ما قبل القومية. ولكنه الأريح على كل حال في المدى الطويل.!

قام بالتصحيح والمراجعة

محمد عبد الرحمن الشاغول

ت: ٠١٢٠٣٨١٥٢٠

Email: ALRAWDA_SH@YAHOO.COM